

الأدلة البينة النورانية
في مفاخر الدولة الحفصية



أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع

تحقيق وتقديم

د. الطاهر بن محمد المعموري

الدار العربية للكتاب

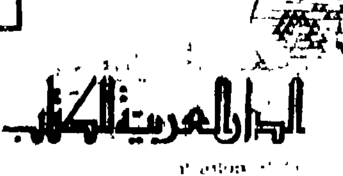




الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية

أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع

تحقيق وتقديم
د. الطاهر بن محمد المعموري



الدار العربية للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه

تقديم

ان من أوكد الواجبات ونحن نواجه تخطيطا تربويا وثقافيا متأكدا ، ان نعرف مصادر تاريخ تونس . هذه المصادر التي تكشف عن شخصيتنا وجذور أصالتنا ، وتعوضنا عن المراجع الأجنبية التي تتعرض لماضينا وكأنه لا صلة له بمقومات شخصيتنا الحضارية . وهذا العرض والتحقيق لمصادرنا هو استجابة لتلك الدعوة الحافزة الهادفة التي غرسها فينا المقدس المبرور شيخنا محمد الفاضل ابن عاشور — تغمده الله برحمته وأحسن عنا جزاءه — لقد كانت توجيهاته عبارة عن ثقة واطمئنان بمستقبل هذا الجيل الذي لقن على يديه أصول الثقافة الاسلامية وابعادها وتأثيرها في بعث حركة علمية مثمرة تعرف شبابنا بطاقة وعظمة هذه الحضارة الاسلامية.

ولقد أنجز كتاب الأدلة البنية النورانية لابن الشماع في نطاق هذا الاتجاه لعله يتبع بمجهودات أخرى تضمن المادة الخام الصادقة التي على ضوءها ينطلق المؤرخ في كتابة علمية لتاريخ افريقية الاسلامي .

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح انه سميع مجيب

سكرة 6 ربيع الثاني و9 جانفي 1404 / 1984



المقـــدمة

الحيــاة الثقـــافيــة (1) .

لقد امتاز هذا العصر بتزاحم التيارات الثقافية الواردة مشرقا ومغربا . فمن المشرق جاء ابن زيتون (1) ، الذى رحل للمشرق مرتين الاولى سنة 1251/648 والثانية 1258/656 . وانتسب هناك للمدرسة الفاضلية ، ومدرسة ابن شكر ، ودرس وحصل له علم بالحديث ، وباصول الفقه ، والعُقائد ، والفقه ، والجدل ، والمنطق ، والحكمة ، أخذ هذه العلوم عن عزالدين بن عبد السلام (2) وزكي الدين المنذرى (3) ، وشمس الدين عبد الحميد ابن عيسى الخسروشاهي (4) ، تلميذ الفخر الرازى ، ورجع الى تونس بعلم كثير فيه تجديد وتفتح . وتؤكد المصادر أنه أوّل من اظهر مؤلفات الفخر الرازي الأصولية بمدينة تونس باقرائه إياها (5) ومن الذين وصلوا للمشرق كذلك ، وتاثروا بهذا التيار الجديد أبو عبد الله محمد ابن شعيب

---

1) تركنا الحياة السياسية لانها مادة الكتاب المحقق .

1) هو ابو الفضل ابو القاسم ابن ابي بكر بن مسافر ابن ابي بكر بن احمد بن عهد الرفيع اليمني 1224/621 — 1291/691 . الغبريني ، 56 ، ابن خلدون : المقدمة ، 772 ، ابن فرحون ، 99 ، 100 ؛ التنبكتي 222 ، مخلوف ، 193 عدد 650 .

2) هو ابو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم ابن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي المعروف بابن عبد السلام عز الدين ، 1161/577 . 1262/660 برع في الفقه وبلغ رتبة الاجتهاد . ابن العماد 5 : 301 ، 302 .

3) هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذرى ، الشامي الاصل ، المصري ، الشافعي ـ محدث ، حافظ ، فقيه ، 1185/581 . 1258/656 . السبكي 5 : 108—118 ، ابن تغرى بردى 7 : 63 .

4) شمس الدين عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يونس الحسن وشاهي التبريزى طبيب ، حكيم ، فقيه ، اصولي . 1184/580 . 1254/652 . له من الكتب : مختصر كتاب المهذب لابي اسحاق الشيرازي في فروع الفقه الشافعي ، ومختصر كتاب الشفاء لابن سينـاء . ابن ابي اصيبعة 3 : 283 ، السبكي 5 : 60 .

5) الغبريني 56 ، 57 ، ابن خلدون : المقدمة ، 772 ، 773 ، ابن فرحون ، 99 ، 100 ، التنبكتي ، 222 ، مخلوف ، 193 عدد 650 .

الدكالي الهسكوري (1) المتوفي بتونس سنة 1294/664 . الذى اخذ عن مشائخ مصر ، وكان تعليمه مفيدا ، واقبل عليه الناس ، واستفادوا منه . ومنهم كذلك ابو علي المنصور المشذالي (2) الذى وصف بآخر رجالات الكمال بافريقية والمغرب الأقصى رحل للمشرق صغيرا ، وأقام أكثر من عشرين سنة (3) ، ولازم العز ابن عبد السلام كثيرا ، وانتفع بعلمه . ولقى تلاميذ ابي محمد عثمان ابن الحاجب (4) ، واستجلب مختصره الفقهي الذى عكف عليه الكثيرون من اهل تونس ، وبجاية للدراسته . وشرحه جماعة من علماء افريقية (5) .

ومن الاندلس توافد كثير من العلماء ، نتيجة لسقوط بلدان العدوة الاندلسية الواحدة تلو الأخرى ، وقد استغل الملوك الحفصيون هذا الظرف فشجعوا الهجرة الاندلسية وحرصوا على استقدام اكثر ما يمكن من العلماء ، الذين توافدوا بدورهم ، لما لاحظوه من تشجيع ، وعناية واستقرار (6) وقد شجع على هذه الهجرة ابو زكرياء الحفصي ، وسار على منواله المستنصر ثاني ملوك الحفصيين ، الذى سمى نفسه خليفة واعتبر تونس وارثة للحضارة الاسلامية خاصة بعد سقوط بغداد . واضمحلال حضارتها تحت ضربات المغول التتار . وقد جعل المستنصر مكانة خاصة لاهل الاندلس ، واتخذ منهم جندا أعانوه في حربه ضد النصارى الذين حاولوا احتلال قرطاجنة ،

وتمثل التيار الاندلسي في تونس ان كل العلوم ، والفنون التي كانت موجودة بالأندلس ، استجلبها المهاجرون ، فاصبحت تونس وارثة لعلومهم غير انه لم يثبت منها الا ما نلسب عقلية أهل البلد (7) .

---

1) راجع الغبريني ، 110–113 ، ابن خلدون : المقدمة ، 772 ، التنبكتي ، 230 ، Brunchvig 2 : 289
2) الغبريني ، 134 ، 135 ، ابن خلدون ، المقدمة ، 773 ، التنبكتي 344 ، 345 .
3) درس المشدالي مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة . ابن خلدون : المقدمة ، 773 .
4) هو عثمان بن عمر بن يونس المعروف بابن الحاجب جمال الدين المصري . 1174/570 . 1248/646 . من اشهر تصانيفه : مختصره في الفقه المالكي ويسمى المختصر الفقهي والفرعي والجامع بين الامهات . ابن تغرى بردى 6 : 360 .
5) كابن عبد السلام وابن راشد القفصي وابن هارون الكناني .
6) ابن الابار : اعتاب ، 12 .
7) انظر فصل Abdelwaheb : coup d'œil général

ومن المغرب قدم التيار الموحدي (1) ، مع فتح عبد المؤمن بن علي لتونس ، وتأسيس الدولة الحفصية . هذا بالاضافة للرحلة الجماعية لعدد كبير من فقهاء المغرب اصطحبهم معه ابو الحسن المريني عند احتلاله لافريقية سنة 1347/748 . ولكن حدث ان هؤلاء الفقهاء ، عوض ان يؤثروا ، تأثروا بالطرق التعليمية الجديدة في العلوم الشرعية ، المختلفة التي كانت سائدة في افريقية

ومما يلاحظ كذلك ان تيارا من التصوف المغربي الأندلسي ، قد ورد على تونس في طريق الرحلة للبلاد المشرقية ، لكنه لم يستطع الاستقرار بالبلاد الافريقية لعدة ظروف . ومن أشهر من يمثل هذا التيار أبو الحسن الشاذلي ، الذي ولد بالمغرب سنة 1197/593 ، وتتلمذ على الولي الصالح عبد السلام بن مشيش (2) ، واستقر بتونس . وجمع من حوله جماعة سموا بالأربعين ، منهم ابو العزائم ماضي بن سلطان ، والشيخ علي الحطاب ، فاصطدم ببعض فقهاء تونس ولم يرجع بعد ادائه لفريضة الحج وآثر الاستقرار بالمشرق .

ولم يستطع الاستقرار في الديار الافريقية الا من كان تصوفه واضحا جاريا على مقتضى سيرة السلف الصالح ، بدون تعقيد ، ولا تاويل ، ثم لم يصدم بالفقهاء اصحاب الزعامة الدينية في البلاد كابي سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي (3) المتوفي سنة 1231/628 الذي كان مركز اشعاعه العاصمة التونسية ، وابو الحسن على المنتصر (4) المتوفي سنة 1341/742 وابو محمد المرجاني (5) .

1) فيما يخص التيار الموحدي راجع رسالتنا : الدراسات القرآنية والحديثة في العهد الحفصي .
2) رسم ابن مشيش لابي الحسن الشاذلي خطة ترقية في معارج التصرف فامره بالارتحال الى افريقية ، وسكنى بلد يسمى شاذلة . ثم التحول الى المشرق . محمود ، 29 .
3) الزركشي ، 26 .
4) راجع بعض توجيهاته في الزركشي ، 76 ، 77 ، البلوى ، مخط ، 15 — ب
5) ابن القنفذ 152 ، الزركشي ، 53 راجع فيما يخص المراكز الثقافية جامع الزيتونة ومدارس العلم وفيما يخص علوم العصر راجع . الدراسات القرآنية والحديثة في العهد الحفصي .

كتب التاريخ والتراجم

لقد كثرت كتب التاريخ والتراجم في هذه الحقبة ، غير ان هذه المادة كالفلسفة ، والجغرافيا ، والطب ، والفلك ، والرياضيات ، لم تكن تدرس في الحلقات العامة ، وانما لها مكانها في الدراسة الحرة . لهذا لا نستطيع استعراض كتب تدريس ، أو علماء أخذت عنهم المادة ، وانما سنذكر ما اشتهر من التآليف في هذا العصر ، وبعض العلماء ممن استهوته الدراسة التاريخية ، والملاحظ أن اكثرهم من الوافدين الأندلسيين

منهم أبو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري البياسي ، المتوفي بتونس سنة 1256/633 ، مؤلف كتاب الحماسة وكتاب الأعلم . تتلمذ عليه أبو زكرياء الحفصي ، وجمع له أحاديث المستصفى ، واستخرجها من الأمهات ، ونبه على الصحيح منها والسقيم (1) ، وكتب له كذلك كتاباً ، تحدث فيه عن الحروب الداخلية في بلاد الاسلام ، الى عهد هارون الرشيد (2) . وكذلك ابو عبد الله محمد بن احمد بن نخيل ، كاتب الوالي الحفصي من قبل الناصر الموحدى ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ، الذى اشتهر عنه كتاب في للتاريخ اعتمده ابن خلدون (3) والزركشي (4) ولكننا لا نستطيع تحديد اهمية هذين الكتابين لفقدانهما ولا مكانتهما في الدراسات التاريخية لهذا العصر .

---

1) ابن القنفذ – 119 ، ابن خلكان 7 : 93

2) ابن الابار : الحلة 1 : 32 .

3) راجع ابن خلدون 6 : 586 ، 589 .

4) راجع الزركشي ، 3 ، 7 ، 18 ، 24 .

ومن أشهر المؤرخين في هذا العصر الذين وصلتنا كتبهم ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الأبـار المتوفى سنة 1260/658 . وعلى الرغم من ان ابن الأبـار كتب في عدة فنون ، الا انه تبرز في التاريخ، والتراجم بصورة خاصة . وكتبه الباقية في هذا الفن تشهد بملكة رائعة وقدرة فائقة (1) منهـا معدن اللّجين في مراثي الحسين (2) ألّفه ابن الأبـار للعاطفة الجياشة التي كان يشعر بهـا نحو آل البيت. وهذا لا يعني اتهامه بالتشيع ، ضرورة انـه لم يلتزم مذهبهم ، وانمـا هو يأس بما أصاب الكثير منهم من محن وويلات ومصائب

وله كذلك في نفس الاتجاه در السّمط في خبر السبط (3) وضعه في مقتل الحسين انتهج فيه طريقة أبي الفرج بن الجوزى (4) .

ولابن الابار في التراجم كتاب المعجم في اصحاب ابي علي الصدفي ، الذى اكمل به كتاب القاضي عياض في شيوخ استاذه ابي علي ، اى تلاميذه ومعاصريه ، ومن تبادل معهم العلم . وابن الابـار في المعجم (5) دقيق في رسم الاسماء وتاريخ الميلاد ، والشيوخ ، وهو يرتب اسماء المترجم لهم حسب حروف المعجم ، وبعد الفراغ من حرف يحصي عدد الشيوخ الذين ذكرهم فيه ، وعدد التراجم في معجم شيخه 315 (6) .

وفي نفس الموضوع وضع ابن الابـار التكملة لكتاب الصلة (7) وهو تتمة لما بدأ به سابقوه كأبي الوليد عبد الله بن يوسف المعروف بابن الفرضي

---

1) ابن الابـار : الحلة 1 — 47—48 Ben Chenet : Art Ibn Abbar E.I. .

2) قال فيه الغبريني : ولو لم يكن له من التآليف الا الكتاب المسمى بكتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته . الغبريني ، 186 .

3) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عبد السلام الهراس وسعيد احمد عراب تطوان ، 1972 .

4) العبدرى ، 272—273 .

5) طبع المعجم طبعة اولى بمدريد سنة 1886 .

6) راجع ابن الابار ، المعجم ، 322 ، 323 .

7) طبع في جزئين بمدريد سنة 1887 .

(351–403/962–1012) ، وواصله ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال (494–578/1100–1118) (1) وله كذلك أعتاب الكتاب (2) .

واخيرا الف ابن الابار كتاب الحلة السيراء ، وهو اعظم كتب الرجل وأعمقها في فهم شخصيته الحقيقية . والكتاب وان كان ادبيا خالصا يحتوى على شعر اهدى للامراء ، والوزراء ، والكتاب ، واصحاب المكانة من العلماء ، الا انه احتوى على تراجم لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والاندلس ، من القرن الأول الهجرى الى منتصف القرن السابع ، بالاضافة لمعلومات اخرى عن أعلام مشارقة ، كان لهم اعظم دور في فتوح بلاد المغرب ، والأندلس (3) . ويظهر لنا من خلال هذا ان ابن الابار احد اعلام مؤرخي العلم بالمغرب ، والأندلس ، لا يستغنى عنه أى باحث في تاريخ القرنين السادس والسابع (4) .

ومن مؤرخي العهد الحفصي نور الدين ابو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي (5) ولد بقلعة بني سعيد سنة 610/1255 (6) ، وتوفي بتونس سنة 685/1286 ، له رحلتان منهما رحلة مع أبيه للمشرق ، زار فيها مصر ، والحجاز ، ودمشق ، وبغداد وحلب ، ولقي في رحلته عددا من العلماء ، واخذ عنهم ، ثم رجع لتونس واتصل بالمستنصر الحفصي ، اشتهرت عنه من الكتب التاريخية تاريخ ابن سعيد .

---

1) يقول حسين مؤنس في مقدمته على كتاب الحلة السيراء « واصل العمل بعد ابن الابار محمد بن محمد بن عبد الملك الانصارى المراكشي المعروف بابن عبد الملك ، ثم وصله كذلك ابو جعفر احمد بن ابراهيم المعروف بابن الزبير وختمه ابن الخطيب بكتاب عائد الصلة » 49 ، 50 .

2) يقص فيه ابن الابار حكايات من كتاب وقع عليهم غضب السلاطين ثم حلت بهم نعمة الرضا ابن الابار : اعتاب 14 .

3) ابن الابار : الحلة 1 : 53 .

4) ينقل مخلوف ان لابي مطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي البلنسي رسالة في وصف قابس ، واخرى في كائنة ميورقة ، وتغلب الروم عليها وله اختصار نبيل في تاريخ صاحب الصلة . مخلوف 195 عدد 659 .

5) مخلوف ، 197 ، 198 عدد 688 .

6) ابن الخوجة في مقدمته على كتاب القرطاجني ، 34 .

والمغرب في حلى المغرب (1) ، والمشرق في حلى المشرق (2) واختصار القدح المعلي في التاريخ المحلى (3) ، والنفحة المسكية في الرحلة المكية (4) وذكرت المصادر من مؤرخي هذه الفترة غرناطيا آخر ، وهو ابو العباس احمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي المتوفي بتونس692/1292—1293. ذكر عنه الغبريني تاليفه كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق ، واستفادة أهل بجاية منه عند مروره عليهم (5) .

ولما كانت خطتنا الكلام على التاريخ والتراجم في آن واحد كان من المناسب ان نتحدث عن تاليف ابي زيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأسيدى الأنصاري القيرواني المتوفي سنة 699/1300 ، وهو معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، وهو كتاب في اربعة اجزاء (6) رتب العلماء فيه الذين دخلوا القيروان من الفتوحات الأولى بحسب الوفيات . وحسب العبدرى الذي التقى بالدباغ في وجهته المشرقية ، واخذ عنه عدة اشياء ، سمى الكتاب معالم الايمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان (7) . وقد واصله ابن ناجي الى سنة 808/1406 ، وكان يطلق على اقوال الدباغ قوله « قال » وقوله هو يعبر عنه بقوله « قلت » (8) وقد أستعان ابن ناجي على هذه التكملة بالاخبار الشفاهية ، والملاحظات الشخصية خاصة في عصره ويشبه استعراضه لحياة بعض المتصوفة كتب المناقب في ذكره للكرامات ، والاطناب فيها (9) .

---

1) نشر بتحقيق وتعليق الدكتور شوقي ضيف القاهرة ، 1953 .
2) مخلوف 197 ، 198 عدد 668 .
3) نشر بعناية الاستاذ ابراهيم الابياري ، القاهرة سنة 1959 في مجلد واحد .
4) مخلوف 197 ، 198 عدد 668 .
5) الغبريني ، 212 ، 213 ، مخلوف ، 199 عدد 672 .
6) طبع طبعتين : الطبعة الأولى تونسية في مجلدين صدرت سنة 1320 والطبعة الثانية الجزء الأول بتعليق ابراهيم شبوح القاهرة 1968 والجزء الثاني بتعليق محمد الاحمدى ابو النور ومحمد ماضور القاهرة 1972 .
7) العبدرى ، 67 ، وهناك تسميات اخرى لنفس الكتاب .
8) الدباغ 1 : 2 ، 3 وما بعدها .
9) الف كذلك في فضائل مشيخة القيروان ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن عبد الملك المعروف بالشريف الدواني وسماه : أنس النساك مخلوف ، 216 عدد 715 , 283 : 2 Brunschvig

وبعد هذه بقليل وضع كتاب آخر في تراجم اهل بجاية وضعه ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني المتوفي سنة 1314/714 ، وسماه عنوان الدراية فيمن نشأ من العلماء ببجاية (1) افتتحه بذكر خصال ابي مدين شعيب ، وبعض صلحاء مدينة بجاية ، واختتمه ببرنامج في شيوخه الذين درس عليهم العلوم المختلفة (2) .

وذكر كذلك ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابي القاسم بن علي بن عبد البر التنوخي المتوفي بتونس سنة 1332/737 من بين مؤرخي هذا العصر ، باعتباره اختصر تاريخ الغرناطي ، والف تاريخا على طريقة الطبرى مرتبا على السنين ، من سنة البعثة المحمدية الى زمانه وهو في ستة مجلدات (3) وفقدانه يجعلنا عاجزين عن تقييمه والاستفادة منه .

تأتي بعد ذلك مجموعة اخرى من مؤرخي القرن التاسع هجرى (الخامس عشر ميلادى) ، في طليعتهم ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون المولود بتونس في واحد رمضان سنة 732 (ماى 1332) ، الذي اشتهر بمقدمته وتاريخ كتاب العبر (4) . ولسنا في مقام تقييم الرجل ، لان ذلك استدعى دراسات خاصة ، قام بها كبار المختصين في آثار ابن خلدون شرقا وغربا ، وانما نحن في مقام تقييم كتاباته عن العهد الحفصي الذى كتب فيه الجزأين الاخيرين من كتابه . وتعتبر كتاباته في هذه الفترة من مبدئها الى عهد ابي فارس عبد العزيز ، الوثيقة الاساسية المعتمدة في

---

1) طبع طبعتين : الأولى بعناية محمد بن ابي شنب سنة 1910/1328 . والثانية بتحقيق رابح بونار . ط . الجزائر
2) الغبريني ، 215 .
3) الزركشي ، 74 ، مخلوف ، 208 عدد 723 .
4) اسم الكتاب هو : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر . طبع عدة طبعات اشهرها طبعة بيروت 1967 .

دراسة التاريخ الداخلي للدولة الحفصية ، وكل المصادر الاخرى لا تصمد امام حدس ابن خلدون وعمق فهمه للقضايا التاريخية .

ومنهم كذلك ابو العباس احمد بن حسن بن علي ابن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني ، المتوفي سنة 1407/810 في كتابه الفارسية في مبادى الدولة الحفصية (1) . وقد كان ابن القنفذ متصلا اتصالا وثيقا بفرع الدولة الحفصية المنتصب بقسنطينة . وهذا الاتصال بين عائلة علمية مشتغلة بالامامة ، والقضاء ، وعائلة حاكمة هو الذى اسبغ طرافة خاصة على فارسية ابن القنفذ . ويدخل ضمن هذه المجموعة كتاب ابى عبد الله محمد بن احمد الشماع واخيرا يأتي تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (2) لابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن اللؤلؤ الزركشي ، وهو مرتب على السنين ، كغالب التواريخ المعروفة في ذلك العصر ، وعمدته في النقل ابن خلدون في العبر ، وابن القنفذ في الفارسية ، الذى يطلق عليه لقب ابن الخطيب القسنطيني . وقيمة تاريخ الزركشي انه واصل ما وقف فيه غيره كابن خلدون ، وهو القرن التاسع الذى عرف كيف يربط بين أجزائه ، ويوصل منقطعاته ، وبانقطاعه سنة 862/1477—1478 (3) ظلت السبل ، وعميت المسالك . خاصة بعد ابتداء الفتنة التي اختتمت بها الدولة الحفصية حياتها .

واخيرا في تقييمنا للتراث التاريخي الذى تركه لنا العهد الحفصي نلاحظ ان ابن خلدون هو قمة هذا التراث ، بخلاف غيره فهو مقلّد ، او مدفوع من طرف خليفة أو أمير ، ولو استمر هذا التيار بعده لاتسمت الدراسات التاريخية بدفع عجيب بعيد المدى (4) .

ابن الشماع : لم تكثر المصادر فى الحديث عن ابن الشماع صاحب الادلة البينة النورانية ، وانما تحدثت عن أبيه لما له من مكانة فى العلم ،

---

1) طبع بتحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر والاستاذ عبد المجيد التركي سنة 1968 .
2) راجع الطبعتين : الأولى سنة 1289 بتونس والثانية بتحقيق وتعليق محمد ماضور سنة 1966 .
3) الزركشي ، 159 .
4) وجدت في هذا العصر كثير من كتب الرحلة ليس هنا مجال تقييمها .

ووجاهة لدى سلاطين بنى حفص . اسم الاب هو ابو العباس احمد بن محمد الهنتاتى المشهور بالشماع (1) والملاحظ انه ينحدر من هنتاتة ، التى هى قبيلة بنى حفص . كذلك (2) تتلمذ ابو العباس احمد على ابن عرفة ؛ غير انه لم يشتهر اشتهار بقية تلاميذه كالأبى (3) والبرزلي (4) وابن ناجي (5) ولعل ذلك راجع لانشغاله بالقضاء ، ومخالطة الملوك .

ولي قضاء محلة السلطان ابى فارس عبد العزيز (6) (796—837/1394—1434) ، والخطابة بجامع القصبة (7) . وهو الذى قرأ البيعة للسلطان ابى فارس عبد العزيز بجامع تلمسان سنة 827/1424 (8) . اشتهرت عنه ملازمته له في كثير من الاحيان حدث عنه ولده ان الأمير أبا فارس عبد العزيز استدعاه يوما للصلاة « أعني صلاة الصبح فغلس . وكان — رحمه الله — من عادته ان يصلي الصبح بغلس جماعة . ويركب في مراكبه . فلما فرغنا من صلاة الصبح ، وركب وسار مع جنده قال : فبقيت في مكاني الذى صليت فيه ، وانا أفكر في إعادة الصلاة ، لانه وقع عندي شك في طلوع الفجر ، وهل وقعت الصلاة في وقتها أم لا ؟ قال : واذا به قد رجع منفردا من جنده الى أن وصل إلي فقال لي : يا فقيه أحمد ما تصلي بعد هذا اليوم ان شاء الله حتى نتبين طلوع الفجر . فكان هذا من مناقبه » (9)

---

1) اشتهرت هذه المهنة في العهد الحفصي حتى خصص لها سوق هو سوق الشماعين (سوق البلاغجية حاليا) ومن شهرته حتى ان اسمه اطلق على اشهر مدارس العهد الحفصي وهي المدرسة الشماعية الظر بالنسبة المدرسة الشماعية . البلوي . مخط 153 — ب ؛ ابن الخوجة : معالم التوحيد 176—178 ، Brunschvig : quélques remarques, 265 . المعموري : جامع الزيتونة 81 .

2) Brunschvig : Ibn As-Samma ، 149

3) هو محمد بن خليفة بن محمد الوشتاتي الأبي توفى سنة 828/1425 . كحالة 9 : 287 . خليفة 1 : 557

4) احمد بن محمد البلوي القيرواني البرزلي توفي سنة 844/1440 . كحالة 2 : 158 .

5) هو قاسم بن عيسى بن ناجي توفي سنة 837/1434 . كحالة 8 : 110 .

6) التنبكتي ، 76 ، ابن ابي دينار 145 ، ط 1 ، مخلوف ، 244 عدد 876 .

7) الزركشي ، 128 .

8) ابن ابي دينار ، 145 . ط 1

9) ابن الشماع ، مخط 59 — ب 60 .

كذلك كان يستدعيه للقراءة وخاصة حين يرد عليه من فحول علماء المغرب والأندلس ويعترف له بالعلم والاسبقية في كثير من العلوم (1) .

غير ان ابا العباس احمد المشهور بالشماع كانت له خصومات علمية مع اقرانه تلاميذ ابي عبد الله محمد ابن عرفة. من ذلك انه وقع بينه وبين البرزلي نزاع كبير في مسألة العقوبة بالمال ، هل هي جائزة باق حكمها او منسوخة ؟ والف كل واحد ردا على صاحبه . لكن الخصومة تجاوزت المستوى العلمي الى الاتهامات العاطفية (2) ، وقد اشار السراج لاسم رسالة الرد التي وضعها الشماع واسمها هو « مطالع التمام ومنجاة الخواص والعوام في رد القول باباحة غرم ذوى الاجرام » (3) .

وقد عثرت على رسالة فيها رد الشماع على البرزلي لما افتى باجازة العقوبة بالمال لامير وقته ، مخاطبا بها الأمير المستنصر في القضية . ومفندا بلغة شعرية حجج البرزلي مع ما يتبع ذلك من أوصاف بذيئة ، تدل على المستوى الذى بلغته المعركة بين الخصمين . وهي ليست رسالة الرد المتقدمة الذكر ، وانما هي نتف من كلام قيل في الموضوع وفي مناسبات متعددة (4) .

وكانت له علائق ودية مع زملائه في الدراسة ، كأبي يعقوب الزغبي التونسي وهو من أكابر أصحاب ابن عرفة ، تولى قضاء الجماعة بتونس . رأى التنبكتي ثناء الشمّاع عليه (5) .

---

1) ابن الشماع ، مخط ، 59 — أ .
2) من ذلك ان ابن الشماع يذكر انه تواتر عنده عن شيخه ابن عرفة انه كان يقول في سجوده : « اللهم احفظ دين محمد — صلى الله عليه وسلم — من البرزلي . السراج 1 : 610 ، التنبكتي ، 76 .
3) السراج 1 : 610 ، 197 ، Brunschvig : Ibn as-Samma
4) والرسالة ضمن مجموع عدد 4 بدار الكتب الوطنية . انظر المعمورى : فهرس المجاميع ، 2
5) التنبكتي : 349 .

ولما توفي ابن ابي فارس عبد العزيز وولي العهد (22 رجب 833/ 16 افريل 1430) تولى الشماع غسله وتكفينه ، وحزن عليه إلى أن لحقه في شهر شوال من عام 1430/833 . ولما قدم ابنه على أبي فارس عبد العزيز عزاه وقال له : « علمت انه سيلحق به في اقرب وقت من شدة وجده عليه (1) » .

اما بالنسبة للابن فاسمه ابو عبد الله محمد كجده (2) ولم يرد ذكره في اى مصدر من المصادر سوى بعض الاشارات في الادلة : منها حضوره مع والده مجالس ابي فارس (3) وقدومه على ابي فارس عبد العزيز عند وفاة والده لتعزيته (4) كذلك لقاؤه بالسلطان المنتصر وقوله له : ونعم يا ابن حبيبنا (5) .

ولكن هناك اشارة وردت في الزركشي (6) تشير الى نقل واقعة من الوقائع الحربية خاضها السلطان أبو عمرو عثمان ضد الأمير ابي الحسن ابن الخليفة ابي فارس عبد العزيز (7) ، وروى هذا النقل الشيخ الفقيه ابو العباس احمد قاضي المحلة . وهذا الاسم هو اسم الاب وهو قد توفي سنة 1430/833 وهذه الواقعة حدثت سنة 1437/840 . اى ان الراوى الذي هو قاضي المحلة لا يمكن ان يكون سوى ابي عبد الله محمد صاحب التاريخ . وان اسمه الشماع اشتبه على الزركشي فاطلقه على الاب ابي العباس احمد مع ان المقصود به هو ابن ابي عبد الله محمد . وبهذا الاعتبار

---

1) الشماع ، 148 ، 149 ، الزركشي ، 128 ، ورد ذكر احد تلاميذه وهو ابو عبد الله محمد الحبي عرف هلال . الراشدي ، 202 .

2) وهم مخلوف حين جعل الاب هو صاحب التاريخ . راجعه 244 عدد 876 :

3) ابن الشماع ، 144 .

4) ابن الشماع ، 148 ، Brunschvig : Ibn As-Samma

5) ابن الشماع ، 154 .

6) الزركشي ، 138 .

7) هو صاحب بجاية دعا لنفسه لما بلغه موت الخليفة ابي عبد الله محمد المنتصر . فخرج له السلطان ابو عمرو عثمان يوم الاربعاء الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة 1437/840 وهزمه راجع تفاصيل الواقعة في الزركشي 138 .

استطعنا تحديد المهام التي قام بها ابن الشماع ، مؤلف الادلة البينة النورانيه في مفاخر الدولة الحفصية مع الخليفة ابي عمرو عثمان ، وهي قضاء الا محال ، وهي نفس الخطة التي اضطلع بها والده قبله مع ابي فارس عبد العزيز . على ان برنشفيك (1) رغم عثوره على هذا النص في الزركشي ، ولكنه رجّح ان يكون أحد الاقرباء او ربما ابنه ولم يتفطن الى الوهم الذي وقع فيه الزركشي .

والذى نستخلصه من هذا ان ابا عبد الله محمد ابن الشماع شغل خطة قضاء الامحال في عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان ، الذى امتدت مدته من سنة 1435/839 الى سنة 1488/894 . وانه اثناء قيامه بمهامه الف سنة 1457/861 كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية بخزانة الحضرة العلية الإمامية المجاهدية المتوكلية (2) .

ثقافته : ليس لنا من دليل على ثقافة ابن الشماع سوى تاريخه ، وهو بما يحتوى عليه من معلومات قليلة لا يدلنا على ان الرجل كانت له ثقافة كبيرة او اختص في فرع من فروع المعرفة ، ويؤيد هذا ان مترجمي ابناء العصر كالتنبكتي ، وابن فرحون ، لم يتعرضا ولو بكلمة واحدة لابن الشماع . ولم يشتهر كما اشتهر الاب الذى تبرز في الفقه وأثار قضايا فقهية ، عارض بها أشهر فقهاء عصره الإمام البرزلي . على ان هذا لم يمنع من وصفه بالفقيه الكاتب القاضي في مقدمة فصله في عدد السلف من ايام الملوك الحفصيين (3) .

كتب ابن الشمـــــاع :

الادلة البينة النورانية .

انه يعتبر من مجموعة الكتب التاريخية التي الفت في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر ميلادى) التي يأتي في طليعتها كتاب العبر لابي

(1 Brunschvig : Ibn As-Samma ، 199
2) ابن الشماع ، مخط . 3 – أ .
3) انظر ابن الشماع : مخط . 1011 . 76 – ب .

زيد عبد الرحمان ابن خلدون المتوفي سنة 1405/808 . لكنه يتسم بالصبغة التونسية اكثر من غيره . كتب سنة 1457/861 للخليفة الحفصي ابي عمرو عثمان (1435/839 — 1488/894) ، ورغم أخذه كثيرا من المعلومات عن ابن خلدون ، الا انه استعمل مصادر خاصة ، مما جعله يختص ببعض المعلومات (1) لكنه أهمل كثيرا من الاحداث التفصيلية ، التي ذكرت في ابن خلدون ، والزركشي ، وقليل منها ذكر في ابن القنفذ ، لأن قصده الأصلي هو شخصية الخليفة قبل كل شيء . وهذا ما جعله يطنب كثيرا عندما وصل لتاريخ الفترة التي عاشها السلطان ابو عمرو عثمان . لهذا وصف تاريخه بالضعف من ناحية المعلومات ، والقيمة الاخبارية ، وحتى الأسلوب الذي حرر به كتابه ، وللشماع رسالة أخرى (2) سمّاها......(3) في عدد السلف من ايام الملوك الحفصيين . وهي تتناول نفس الموضوع الذي عالجه كتاب الادلة البينة النورانية ، اعني استعراض تاريخي متسلسل لخلفاء بني حفص ، لكنه استعراض مختصر حاكى فيه ميزان العمل لابن رشيق ، على حد تعبيره . وقصد به مقام ابي عمرو عثمان وهي رسالة مختصرة ، شبيهة بالادلة البينة النورانية ، لا تعطينا صورة جديدة لشخصية ابن الشماع ، وانما هي تؤكد الاحكام التي اطلقها عليه الباحثون . مؤرخ عاش في ظل القصر وتنعم بخيراته فاخذ يلهج بهذه المسرات ، ناسيا الخطة التي يجب على المؤرخ أن يسلكها ،

مخطوطات الأدلّة البينة النورانية

1) رقم : 9954 عبدلية : 5130

مقاس : 21،5 × 15،5

مسطرة : 15

اوراق : 78

---

1) ابن الشماع 43 — أ تعليق 1 ، 42 — أ تعليق 3 .

2) ضمن مجموع عدد 1011 من 76 — ب الى 86 — ب . وقطعة اخرى تحت رقم 4764 مجموع من 69 — 1 — 72 — ب .

3) هكذا في الاصل .

النسخ : يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذى القعدة عام تسع وعشرين وهي المعتمدة وسميتها بالأصل .

2) رقم : 4049

مقاس : 20،5 — 15

مسطرة : 22

أوراق : 34 : من 89 — أ — 123 — ب .

وهي نسخة حديثة العهد وذلك واضح من ورقها وحبرها وحين قارنتها بالأخرى وجدتها طبق الأصل ، بالإضافة لأخطاء النسخ ، لهذا لم أعتمدها ولا أشرت اليها في التعليق .

3) رقم : 4625 المكتبة الوطنية بباريس

مقاس : 23 × 18

مسطرة : 15

أوراق : 91

النسخ : 1264هـ .

ملاحظة : فيها نقص . وهي ضمن مجموع (1) .

.... في عدد السلف من ايام الملوك الحفصيين .

المؤلف : ابو عبد الله محمد بن ابي العباس احمد الشهير بالشماع .

رقم : 1011 مجموع

مقاس : 22 — 15،5

مسطرة : 19

اوراق : 11 : من 76 — ب — 86 — ب .

.... في عدد السلف من ايام الملوك الحفصيين .

---

1) انظر دوسلان ، 734 .

المؤلف : ابو عبد الله محمد بن ابي العباس احمد الشهير بالشماع .
رقـم : 4764 مجموع
مقاس : 20،5 — 15
مسطرة : 20
أوراق : 4 : من 69 — أ ب — 72 — ب .

الطبعـة الأولى :

حققهـا الاستاذ المرحوم عثمـان الـكعـاك وطبعت بمطبعة العرب بتونس سنة 1936/1355 ، غير ان نفادها جعل نسخها اثمن من المخطوط ، ضرورة ان المـكتبة الوطنية بتونس لا تملك منهـا الا نسخة واحدة .

ومع تقديري واحترامي لعمل الاستاذ عثمان الـكعاك ، وانه في الفترة التي نشر فيها الـكتاب سد ثغرة هامة في مصادر العهد الحفصي ، الا انه أفاض في تعليقاته المهمة حول العهد الحفصي ، حتى أصبح النص اقل من التعليق ، ولا شك ان هذه التعليقات الهامة ، تحول انظارنا من المنهج السياسي الذي التزمه ابن الشماع ، الى انغماس في الحياة الإجتماعية ، والثقافية وهو ما سكتت عنه المصادر في اغلب الأحيان .

لهذا لم يـكن تحقيقي للـكتاب مسا بمن سبقني ، وانما هو محاولة جديدة لمسح المصادر الحفصية ، وتقديمها في صورة علمية ، حتى نخفف من عناء البحث ، ونوفر على طلبتنا كثيرا من الجهود التي كانت تصرف لتجديد هذه المصادر ، وتنظيم معلوماتها ..

الباب الثاني في التعريف بمدينة
تونس وما في معنى ذلك
الباب الثالث في ذكر بلد رادس
والسبب الذي لأجله خرج البحر لمدينة تونس
وما يتصل بذلك الباب الرابع في
التعريف بما أوصى به إفريقية من الصحابة
رضوان الله عليهم وما يتصل بذلك الباب
الخامس في وجوب طاعة ولاة الأمور
وما في معنى ذلك ثم نتبع ذلك بمن ولي إفريقية
من ملوك بني حفص على الولاء إلى تاريخ وضع
هذا التقييد وهو أواخر عام أحد وستين
وثمانمائة من الهجرة وختمت الكتاب بفصلين
أحدهما في الحرابة وذكر بعض أحكامها
الثاني في دخول العرب إفريقية وما السبب
في ذلك والنفع لذلك لحق أنه الحضرة العلية

الحقبة الماضية الى هذه المتوكلية ادام الله
نصرها وشيد على المنابر ذكرها وسميته
بالرسالة البينة النورانية على
مفاخر الدولة الحفصية ورغبت ممن يقف
على هذا التقييد من العلماء الاعلام عما
يرى فيه من الخطأ والنقص في ذلك معنى
الاعتبار ورضى عن كل عيب كليلة كما ان عين
السخط تبدي المساويا والله اسأل ان يعصمنا
من الخطأ والزلل ويهدينا ويرشدنا الى خير القول
والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ذكر المقدمة وهي
تشتمل على خمسة ابواب الباب الاول في حد
المغرب واين يبتدئ وما ورد في فضلها وذكر اهل
التاريخ في كتبهم ان حد المغرب من ضفة النيل
التي تلي بلاد المغرب الى مغرب الشمس وحده

الأدلة البينة النورانية
في مفاخر الدولة الحفصية



بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيد المرسلين

/ الحمد لله الذى جعل ملة الاسلام مؤيدة (1) مقصودة ، وشوكة (1 — أ)
أضدادها مفللة محصودة ، وجعل رجالا أفذاذا أولي قوة في
عزمات (2) اليقين ، وغيرة على حرمة الدين ، ينهضون في
سبيل الله نهض الصادقين ، ويركضون لاقامة أمر الله ركض
السابقين . وصلى الله على خيرته من خلقه وأمينه على سر
وحيه ورسالته محمد المصطفى ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ،
وسلم عليه وعلى أهل بيته الطاهرين ، أيمة الهدى ، ومصابيح
الدّجى ، وعلى سائر أصحابه أجمعين .

أما بعد ، فاني أذكر في هذا التقييد نبذة كافية من أخبار
السادات الموالي الحفصيين ، الخلفاء الموحدين (3) ملوك افريقية
— جعلهم الله من الأيمة المهتدين ، ورفع درجتهم في عليين — / (1 — ب)
ونبينها على وجه الايجاز والاختصار . وقصدت في ذلك
عيون الاخبار وأرواحها ، وتركت حشوها وطولها ، ليكون
هذا التقييد وجيزا مهذبا ، ينشط الناظر الى مطالعته . وغرضي

1) في المخطوط مزيدة
2) كذلك في المخطوط
3) في الاصل كلمة غير واضحة

بذلك وصميم النيّة فيه ، التذكرة والموعظة ، فان في ذكر أخبار الأمم الماضية ، والقرون البائدة والدول الغابرة والملوك السالفة تنبيها ووعيدا لمن القى السّمع وهو شهيد (1) .

قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ » (2) وأيام الله هو ما يبتلي به عباده من السّراء والضّراء على أحد التفاسير . وقال سبحانه : « أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَاثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا » (3)
فحض سبحانه / عباده على السير في الأرض للاعتبار بالايام (4) (2 — أ)
الخالية . ومن المعلوم أن الانسان لا يقدر على السير بجسمه في أكثر الأرض لضعفه ، وعجزه الا الفذّ ممن أقدره الله على ذلك (5) . مثل ذي القرنين . ويقدر أن يتوصل لذلك بعلم التاريخ مما ألّفه العلماء — رضي الله عنهم — .

فعلم التاريخ على هذا من أفضل العلوم وأسناها قدرا وأكثرها منفعة لمن حمله على طريقة الاعتبار .

---

1) أصل الآية : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ق ، 37 .

2) ابراهيم ، 5

3) الروم ، 9

4) في الأصل « فالايام الخالية » .

5) في الأصل « تلك »

قال ابن عطية (1) في سورة آل عمران في قوله تعالى : « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرْضِ (2) الآيـة » .

هذا الأمر قد يدرك بالاختبار دون السير . إلاّ ان الله قد أحالهم على الوجه الأكمل .

وقدمت بين ذلك مقدمة تشتمل على خمسة أبواب :

الباب الاول : في حدّ المغرب وافريقية وما ورد في فضلهما .

البـاب الثاني : / في التعريف بمدينة تونس ، وما في معنى ذلك . (2 — ب)

الباب الثالث : في ذكر بلد رادس ، والسبب الذي من أجله خرق البحر بمدينة تونس ، وما يتصل بذلك .

الباب الرابع : في التعريف بأول من غزا افريقية من الصحابة — رضوان الله عليهم — وما يتصل بذلك .

الباب الخـامس : في وجوب طاعة ولاة الامور ، وما في ذلك المعنى .

ثمّ نتبع ذلك : بمن ولي افريقية من ملوك بني حفص على الولاء (3) الى تاريخ وضع هذا التقييد ، وهو أواخر عـام احدى وستين وثمانمائة من الهجرة (1457/861) وختمت الـكتاب بفصلين .

---

1) هو ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام ابن عطية المحاربي الغرناطي المالكي . 1088/481 . 1147/541 . عالم مشارك في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة . من مؤلفاته : الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، وبرنامج ضمنه مروياته واسماء شيوخه . ابن بشكوال 1 : 380 عدد 825 ، الضبي 376—378 عدد 1103 .

2) آل عمران ، 137 . بقية الاية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

3) كذا في الأصل

أحدهما : في الحرابة وذكر بعض أحكامها ؛

الثاني : في دخول العرب افريقية ، وما السبب في ذلك .

(3 — أ) وألفت ذلك بخزانة الحضرة العلية / الامامية المجاهدية المتوكلية (1) — أدام الله نصرها وشيد على المنابر ذكرها — .

وسميته : بالادلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية (2) . ورغبت ممن يقف على هذا التقييد من العلماء الأغضاء عما يجد فيه من الخطأ والنظر في ذلك بعين الاعتبار .

وعين الرضى عن كلّ عيب كليلة (3)
كما أن عين السخط تبدي المساويا

والله أسأل أن يعصمنا من الخطأ والزلل ، ويهدينا ويرشدنا الى خير القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ذكر المقدمة

وهي تشتمل على خمسة أبواب

الباب الاول

: في حدّ المغرب وافريقية وما ورد في فضلها (حدّ المغرب) : ذكر أهل التاريخ في كتبهم أن حدّ المغرب (4) من ضفة النّيل التي تلي بلاد المغرب الى مغرب الشمس .

---

1) سنة 1457/861 في مدة الخليفة ابي عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس عبد العزيز . أنظر الزركشي ، 134 ، 395 : 2 Brunschvig

2) طبع الكتاب طبعة أولى بمطبعة العرب بتونس بتعليق الاستاذ المرحوم عثمان الكعاك سنة 1936/1355 .

3) ذكر الصدر في المخطوط هكذا : ورضي عن كل عيب كليلة .

4) فيما يخص حد المغرب . راجع ابن حوقل ، 64 ، 65 ؛ البكري ، 6 وما بعدها ، ط 1 ؛ ابن عذاري 1 : 5 ، 6 .

وحدّه / مدينة سلا (1) وينقسم أقساما . (3 — ب)
[القسم الأوّل : افريقية] فقسم منه من الاسكندرية الى مدينة طرابلس (2) الى حد بلاد قسطيلية وهي التي يقال لها افريقية .
[القسم الثاني : الزاب] ويلي هذه البلاد المذكورة من الزّاب الاسفل المذكور . وحد هذه البلاد : مدينة تيهرت (3) .
[القسم الثالث : المغرب] ويليها بلاد المغرب ، ويقال أيضا مدينة طنجة ، بل بلادها . وحدها الى آخر المغرب مدينة سلا .
(القسم الرابع : الأندلس) وبلاد الأندلس من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به . وبينما المجاز الأعظم الذي يسمى بحر الزقاق (4) .

وحدّ افريقية من مدينة طرابلس الى مدينة طنجة ، ومدينة طرابلس كبيرة أزلية على ساحل البحر ، يضرب في سورها ماء البحر ، وهو من حجر جليل من بناء الأول . ومن طرابلس الى جبل نفوسة ثلاثة أيام ، ومن جبل نفوسة الى القيروان ستة أيام

[وصف طنجة] ومدينة طنجة (5) مدينة بالمغرب قديمة على ساحل / البحر فيها آثار كثيرة . وبينها وبين سبتة في البر ثلاثون ميلا ، وفي البحر نصف مجرى . وأول من افتتحها : عقبة ابن نافع ، وقتل رجالها . وسبى من فيها وهي على شاطىء بحر الزقاق على القنطرة المعروضة الى ساحل الأندلس ، التي لم يكن في العالم مثلها . وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة الى ساحل الأندلس . فلما (4 — أ)

1) في المخطوط : أسكا .
2) في الاصل : أطرابلس وهو ما في ابن عبد الحكم ، 171 والبكري ، 6 – 8 ط2 . ابن عذاري 1 : 5 .
3) انظر ابن عذاري 1 : 5 .
4) منقول بتصرف من ابن عذاري 1 : 6 .
5) راجع البكري ، 104 — 109 .

كان قبل الفتح الاسلامي طغى ماء البحر وزاد ، وخرج من بحر المحيط الى بحر الزقاق فاغرق هذه القنطرة . وكان طولها اثني عشر ميلا وسعة المجاز اليوم في موضعها ثلاثون ميلا . وتبدو هذه القنطرة لاهل المراكب فيتحفظون منها . ويقال انها ستنكشف في آخر الزمان ويجوز عليها الناس ، والله أعلم .

ومسافة ما بين طنجة والقيروان الف ميل . وهي طنجة
(4 ـــ ب) البيضاء / المذكورة في التواريخ . وقيل ان عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وان ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم ، كانت دار مملكتهم .

والدليل عليه أن خرائب طنجة اذا حفرت وجد فيها أصناف الجواهر .

وأما بلاد قسطيلية ، فان من مدنها مدينة توزر ، والحامة ، ونفطة . ومدينة توزر هي أم مدائن قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب ، وفيها جامع محكم البناء ، وأسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة وهي مدينة حصينة ، لها أربعة أبواب ، كثيرة النخل والبساتين والثمار ، الاّ أنّ قصب السكر لا يصلح فيها وكذلك الموز وحولها سواد عظيم من النخل . وهي أكثر بلاد افريقية تمرا (1) ، وشر بها من ثلاثة انهار تخرج من الرمال كالدرمك رقة وبياضا (2)
(5 ـــ أ) / ويجوز (3) من مدينة توزر في بعض الأيّام ألف جمل موفورة تمرا (4) وأكثر . ولا يعلم بلد من البلاد مثل أترجها جلالة

---

1) منقول بتصرف قليل عن البكري ، 48 ط 2 .
2) الفقرة منقولة حرفيا عن البكري ، 48 ط 2 .
3) في الأصل ويخوض
4) في الأصل موقرة والاصلاح من البكري ، 48 ط 2 .

وحلاوة . وبها الترنجبين والمخيطا والأملج (1) . ولا يعلم وراء قسطيلية الا الرمال ، وسعر طعامها غال في أكثر الاوقات ، لانه يجلب اليها . وبينها وبين الحامة مرحلة ، ووراءها صحراء في قبلتها لا يقدر أحد أن يدخلها ، ويقال إن بتلك الصحراء واديا يجرى الماء من الرمل ، وهذا مستفيض ، وأهلها من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح . وكذلك أكثر أهل قسطيلية . ومنهم من العرب الذين سكنوها عند افتتاحها ، ومنهم البدو الذين دخلوها في قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم من فلسطين بالشام .

في فضل المغرب

وأما ما ورد في فضل المغرب مما نقل عن سفيان بن عيينة (2) عن النبيء صلى الله / عليه وسلم قال : الشرّ عشرة (5 — ب) اجزاء ، فتسعة بالمشرق ، وواحد بالمغرب . والخير عشرة أجزاء فتسعة بالمغرب وواحد بالمشرق (3) .

وعن سفيان بن عيينة أيضا يروى أن المغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة أربعين خريفا لا يغلقها الله حتى تطلع الشمس من

1) نفس عبارة البكري ، 49 ط2 .

2) هو ابو محمد سفيان بن عيينة بن ابي عمران ميمون الهلالي 725/107 . 812/196 روي عن عبد الملك ابن عمير وابي اسحاق السبيعي وزياد بن علاقة والأسود بن قيس . قال العجلي : كوفي ثقة ثبت في الحديث وقال الشافعي لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . من آثاره : تفسير القرآن . وجزء فيه احاديث . ابن حجر : التهذيب 4 : 117—122 .

3) اختص الشماع بهذا الحديث لاختصاصه بذكر ماورد في فضل المغرب ولم يشر له فنسك لعدم وجوده في الصحاح ، ولعله ملحق بالاحاديث الموضوعة في فضل افريقية .

من مغربهـا . وان بالمغرب بابا مفتوحـا للتوبة (1) كما قيل رواية عامة .

وفي فضله قال الشاعر :

الغرب قطـــر عظيـــم ولي دليـــل عليـــه
البـــدر يطلـــع منـــــه والشمـــس تغـــرب فيـه

وأمـا ما ورد في فضل افريقية .

ممـا نعلم عن الراوى (2) : قال يروى عن عبد الله بن وهب (3) مرفوعـا ان النبيء صلى الله عليه وسلم — بعث سرية (4) في سبيل الله . فلمـا رجعوا ذكروا شدة برد أصابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكن افريقية اشـدّ بردا وأعظم / أجرا (5) . ويقـال ان بافريقية ساحلا يقال له : (6 — أ)
المنستير المذكور قد شهر بالبركـة . وبافريقية جبل يقال له مطءور باب من أبواب جهنم . وهذا الجبل هو المعروف بوسلات .

وفي الحديث ليرابطن على ساحل افريقية رجال حتى تسير الجبـال بهم ، فيسمع لهم دويّ ، ويقال ما هذا فيرسلون

---

1) لم يشر له فنسك لعدم وجوده في الصحاح . ولعله ملحق بالاحاديث الموضوعة في فضل افريقية .
2) في الأصل : مما نعلم الى الراوي
3) لعله عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى الاسد . روى عن عثمان وابن عمر . وعن الزهري وهاشم بن هاشم بن عتبة . ذكره ابن حيـان في الثقاة . ابن حجر : التهذيب 6 : 70 ، 71 عدد 139 .
4) في الأصل هريرة ولعله سبق قلم من النـاسخ .
5) هذا احد الأحاديث التي ذكرت في أبي العرب والمـالكي وهي غير مذكورة في الصحاح وأسلوبها يدل على وضعها : نقلها الشماع بسند مختصر راجع أبي العرب والمـالكي ، 49 ، 3 .

من يختبر الأمر فيرجع اليهم فيقول لهم هذه الجبال قد سيرت ، فيخرون لله سجدا ، فلا ينزع أطمارهم عنهم الا أزواجهم من الحور العين (1) وفي الحديث : يحشر من افريقية سبعون ألف شهيد وجوههم على صورة القمر ليلة البدر (2) . وعنه صلى الله عليه وسلم : ان البرد الشديد والاجر العظيم لاهل افريقية وذكر القاضي زياد بن انعم (3) قاضي القيروان في حديث رواه . قال : ينقطع الجهاد في آخر الزمان / من البلاد ويعود الى (6 — ب) افريقية . وليضربن القبائل أكباد الابل من جميع الافاق الى الجهاد بافريقية ، لعدل امامهم ورخص أسعارهم (4) .

وذكر في حديث : ولّينا نحن بمصر بعشرة دنانير ثم رجعنا بخمسين دينارا من حرص الناس على الجهاد بافريقية . « وكافة النعم نريد المحامل على عتبة النيل الى ارض افريقية لطلب الجهاد والعدل فيها » (5) وليملكن ارض افريقية رجل اسمه (6) يوسف يعدل فيها اثنين وعشرين سنة (7) .

---

1) نقل ابن الشماع الحديث مع اختلاف في النص عن ابي العرب والمالكي ؛ 51 ، 4 .
2) نقل هذا الحديث كذلك مع اختلاف في النص . راجع ابي العرب والمالكي ، 45 ، 3 .
3) هو زياد بن انعم السفياني . كان رجلا صالحا فاضلا تابعيا يروي عن ابن عمر وابي ايوب الأنصاري . روى عنهما ابنه عبد الرحمان . سكن القيروان واختط بها دارا ومسجداً في ناحية باب نافع . شهد الغزو مع ابي ايوب الانصاري المالكي 1 : 83 عدد 47 .
4) ذكر الحديث في أبي العرب ، 53 .
5) هذه القطعة اختص بها الشماع .
6) في الأصل اعلمه ولعله سبق قلم من النسخ .
7) ذكر الحديث في ابى العرب بنص آخر . ابي العرب ، 53 . روى الدباغ هذه الاحاديث في معالم الإيمان ج1 ص 54 . وعلق عليها بقوله : « وسمعت شيخنا أبا القاسم البرزلي يقول عن شيخه وشيخنا ابي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي انه يغلب على الظن ان هذه الاحاديث موضوعة وقصدوا بوضعها تحبيبها الى ساكنيها ويدل على هذا ان فيها رنة الأحاديث الموضوعة ، وكذلك ينقل في فضل بلد رادس وغيرها .

الباب الثاني

في التعريف بمدينة تونس (1) وبما يتصل بذلك وهي مدينة اسلامية احدثت عام ثمانين من الهجرة [699—700] وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له : « ما فعلت احدى القيروانين » يعني تونس تعظيما لها / . (7 — أ)

وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وأم بلادها ، وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين . وهاجر اليها أهل الاقطار من الاندلس ، والغرب ، وغيرهما فكثر خلقها ، واتسع بشرها (2) ، ورغب الناس في سكناها . وأحدث فيها المباني ، والكروم والبساتين حتى بلغ ذلك النهاية ، التي لا توجد في غيرها . وبينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام . وبينها وبين البحر نحو أربعة أميال . وبينها وبين قرطاجنة نحو عشرة أميال . وبين تونس ومرساها بحيرة ، يقال انها كانت كثيرة الجنات والمياه والزرع ، طيبة الفواكه ، فغلب عليها البحر . ولمدينة تونس سور يدور بها . ويقال إن دورها أربعة وعشرون ألف ذراع . وجامعها (3) مليح الصنعة حسن الوضع ، (7 — ب) مطل على البحر / بناه عبد الله بن الحبحاب (4) هو ودار الصناعة ، سنة أربع عشرة ومائة [114 / 732—733] وأنفذ اليها البحر .

وتونس في سفح جبل قالوا وهي دار علم وفقه . وعلى نحو عشرة أميال منها نهر مجردة ، وهو على الطريق الى

---

1) راجع عن مدينة تونس البكري ، 37—40 ، العبدري ، 39—63 التجاني 4، 5 ابن الفضل ، 7، 8 ابن بطوطة ، 17 ، 18 ، القلقشندي ، 5 : 102 ، 103 .

2) سياق المعنى يوجب أن تكون العبارة : واتسع نطاقها .

3) نفس البكري يقتصر على كلمة جامع ولا يضيف لها كلمة الزيتونة : البكري ، 37 .

4) نفس المصدر والصفحة .

المغرب ، ويقال إن من شرب منه قسا قلبه ، وأكثر الناس يجتنبون الشرب منه .

وسميت تونس لان المسلمين كانوا لما افتتحوا افريقية ينزلون بازاء صومعة راهب بترشيش كان هنالك . ويأنسون بصومعته . فيقولون هذه الصومعة تؤنس ولقبوها هذا الاسم .

ونزل عليها عبد المؤمن بن علي (1) سنة أربع وخمسين وخمسمائة (554 / 1159—1160) فحاصرها ، ثم دخلها عليهم . واختلفت عليها ولاة الموحدين الى أن نزل عليها علي بن اسحاق الميورقي (2) . فحاصرها ثم ملكها ، وأغرم أهلها مائة / ألف دينار . ووظف نوابه على الناس في تقاضيها . (8 — أ)
ثم خرج الميورقي عنها لما بلغه تحرك صاحب المغرب اليها أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور (3) ، ووالى عليه الهزائم كبير أصحابه المولى أبو محمد عبد الواحد (4) المرّة بعد المرّة .

---

1) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى ابن مروان الكومي 487/1094 . 558/1163 . مؤسس دولة الموحدين في المغرب وتونس . التقى بالمهدي ابن تومرت واختصه بثقته . ولما توفي المهدي اتفق اصحابه على خلافة عبد المؤمن سنة 524 . استولى على اشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس وتونس . ابن خلدون : 472—480 . ابن خلكان 3 : 237 241 عدد 408 .

2) الزركشي : 17 .

3) هو ابو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور ابن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي . بويع بالخلافة سنة 595/98—1199 . وتوفي سنة 610/10— 1211 الزركشي ، 17 ، 18 .

4) هو الشيخ ابو محمد عبد الواحد أبو حفصي وزير ابي محمد بن يعقوب المنصور وجد الاسرة الحفصية بتونس . تولى ولاية افريقية من قبل الموحدين سنة 603/6—1207 ، الزركشي ، 18 .

ومن تونس الشيخ علي بن زيـاد (1) الفقيه صاحب مالك بن أنـس رضي الله عنه ، وقبره بداره بباب المنـارة ومنهـا الامام العابد محرز بن خلف (2) ذو المناقب الشهيرة . ومقامه بداره بداخل باب سويقة ، ويقال إن تونس تقصم الجبابرة . وينشدون على ذلك شعرا .

فكل جبار اذا مـا طغــى وكـان في طغيـانه يسـرف
أرسلـه الله الى تـونـــس فـكل جبـار بهـا يقصف.

ودور بحيرة تونس أكثر من أربعة وعشرين ميلا . وفي (8 — ب) وسطهـا جزيرة تسمى شكلة / (3) في مقدار ميلين ، تنبت الـكلخ وفيهـا أثر قصر خرب . وتونس في سفح جبل يسمى بجبل أم عمرو ، وبقبلي مدينة تونس جبل يعرف بجبل التوبة ، لا ينبت شيئـا . وهو المسمى اليوم بجبل الزلاج (4) ويقال « أن بافريقية القريـة التي استطعم أهلهـا وهي مدينة برقة » (5) . وعن بعضهم انهـا الجزيرة الخضراء، وعن بعضهم انهـا الابلة . وبالقرب من رادس (6) وادي مليان ، وعليه القنطرة الشهيرة فخـامة واتسـاعا ، والتونسيون يزعمون انهـا بنيت من مـال رجل من الغربـاء كان يتكفف النـاس ، ويتصدقون عليه ،

---

1) هو ابو الحسن علي بن زياد سمع من مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد ومن ابن لهيعة وسمع منه البهلول بن راشد ، وسحنون . توفي سنة 183/99 800 . أبي العرب ، 220–223 .

2) هو ابو محفوظ محرز بن خلف التونسي الصديقي . نشأ بتونس وعن علمائها أخذ العلم والأدب كان عالمـا فقيها غلب عليه الزهد والعبادة واشتهرت فضائله وكان ملجـأ لأهل تونس وغيرهم وكان مربيا انتفع الناس بوعظه وتعاليمه يكثر التردد على الأماكن الخربة للاتعاظ . توفي سنة 413/22–1023 النيفر 1 : 35 ، 36 .

3) نقل حرفي عن البكري ، 39 .

4) راجع الهواري : مناقب الزلاج ، 1 — ب .

5) في الأصل اضطراب في هذه الفقرة . ولعلها طبرقة

6) من ضواحي تونس الجنوبية عن طريق السكة الحديدية تونس حمام الأنف .

ولا يعلمون حاله ، وسعة ماله الى أن توفي ، فوجد له مال معدود . فأمر المولى أبو زكرياء – رحمه الله – أن يصرف في بنائها فابتنيت منه (1) .

الباب الثالث (2)

في التعريف بأول من غزا افريقية من الصحابة / رضي (9 – أ) الله عنهم وما يتصل بذلك.وأول من غزا افريقية عمرو بن العاص – رضي الله عنه – ذكر الليث بن سعد (3) قال : غزا عمرو بن العاص مدينة طرابلس ، وهو حدّ افريقية على ما نسبوا سنة ثلاث وعشرين ونقل في سنة اثنين وعشرين (22–23 /642–643) . فنزل القبّة التي على المشرف في شرقيها ، فحصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مُدْلِج (4) ذات يوم من عسكر عمرو يتصيد في سبعة نفر ، فمضوا غربي المدينة حتى بعدوا عن المعسكر ، ثم رجعوا فأصابهم الحرّ فأخذوا على ضفة البحر . وكان البحر لاصقا بسور المدينة ، ولم يكن فيها بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى سور تميم . فنظر المدلجي وأصحابه

---

1) ذكر ابن الشماع في فاتحة الكتاب أن الباب الثالث مخصص لذكر بلد رادس ولكنه حرر فيه فقرة صغيرة لا تصلح لان تكون بابا .

2) الباب الثالث كان مخصصا عند الشماع لبلد رادس لكنه لم يستعمله ومع ذلك سمى الباب الموالي بالباب الرابع . فأثرنا نحن التنظيم وسمينا الباب الموالي بالباب الثالث .

3) هو ابو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي . 94/713 ، 175÷791 روى عن نافع وابن أبي مليكة ويزيد بن ابي حبيب ويحيى بن سعيد الأنصاري وأخيه عبد ربه بن سعيد والزهري . وروي عنه شعيب ومحمد بن عجلان وهشام بن سعد وابن لهيعة وابن المبارك وابن وهب . وكان الامام الشافعي يقول الليث أفقه من مالك ، الا ان اصحابه لم يقوموا به . ابن حجر : التهذيب 8 : 459–465 عدد 832 ، الزركلي 6 : 115 .

4) ضبطها ابن عبد الحكم ، 171 .

(9 — ب) فاذا البحر/ قد غاض وحسر من ناحية المدينة . ووجدوا مسلكا اليهـا من الموضع الذي غاض منه ، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة ، فكبروا فلـم يكن للقوم مفزع الا سفنهم (1)

وأبصر [عمرو] (2) وأصحابه الفلة من جوف المدينة . فـأقبل بجيشه حتى دخل عليهم . فلم يفلت الروم الا بمـا خف لهم في مراكبهم . وغنم عمرو ماكان في المدينة (3) .

ثم استشـار عمرو بن العاص عمر بن الخطـاب في غزو ملك افريقية فابى عليه . وقال له : رد علي جيشي ، ثم غزاها بعده عبد الله بن أبي سرح (4) كاتب الوحي لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — في خلافـة عثمـان بن عفـان رضي الله عنه . قـال الواقدي (6) عن عبد الله بن الزبير (5) قـال :

---

1) نقل حرفي عن ابن عبد الحكم ، 171 ، انظر البكري ، 8 .

2) كلمة ساقطة من الاصل .

3) منقول حرفيا عن ابن عبد الحكم ، 171 .

4) هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي العامري ، فاتح افريقية . اسلم قبل فتح مكة . وكان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم . وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر . وولي مصر سنة 25/45—646 زحف في خلالها الى افريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن نافع ، ولحق بهم عبد الله ابن الزبير . فافتتح ما بين طرابلس وطنجة توفي سنة 37/657 . الطبري 5 : 2814 ابن الأثير 3 : 173 ، 174 ، الزركلي 4 : 220 ، 221 .

5) هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي . 130/747 . 207/823 محدث حافظ مؤرخ ، اديب ، فقيه مفسر . سمع من مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وروى عن ثور بن يزيد وابن جريج وطبقتهمـا ، وحدث عن ابيه . انتقل الى العراق فقدم بغداد ايـام الرشيد ، فاتصل بيحيى ابن خالد البرمكي فافاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة . وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته . من تصاليفه : تاريخ الفقهـاء ، السنة والجماعة ، ذم الهوى وترك الخوارج في الفتن ، تفسير القرآن . البغدادي 3 : 3 — 21 ، 196 ، 197 عدد 939 ، كحالة 11 : 95—97 .

6) هو ابو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي . 1/622 . 73/692 شهد فتح افريقية زمن عثمان بويع له بالخلافة سنة 64/83—684 فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام ، وجعل قاعدة ملكة المدينة . ابن الأثير 3 : 161—164 .

اغزانا ابن عفان افريقية وبها بطريق يدعى جرجير سلطانه من طرابلس الى طنجة وأميرنا عبد الله بن أبي سرح / ، وكان جملة من معه من المسلمين عشرين الفا ، وكان جرجير (10 – أ) في مائة وعشرين الفا . فالتقى المسلمون والكفار واضطربت بينهم الحروب . فضاق بالمسلمين الامر ، واختلفوا في الرأي على ابن سعد فدخل فسطاطه يفكر .

[قال] (1) عبد الله بن الزبير فرأيت جرجير (2) على برذون أشهب خلف اصحابه منقطعا عنهم ، ومعه جاريتان له ، يظللانه بريش الطواويس من الشمس ، فأتيت فسطاط عبد الله بن سعد فقلت لحاجبه : استأذن لي عليه ! فأبى وقال : أمرني أن أجلس الناس عنه حتى يدعوني قال : فدرت من وراء الفسطاط فرفعته فرأى وجهي فأومأ الي بالدخول برأسه ، فدخلت وهو مستلقي على فراشه يفكر ، ففزع من مدخلي فقال ما جاء بك يا ابن الزبير ؟ فقلت « .... » (3) يظن كل شيء عدوا فهو شارد أبدا . (10 – ب) قال : ما الخبر ؟ . قال : قلت رأيت غرة من عدونا فظننت أن يكون فرصة هيأها الله وخشيت الفوت ، فاخرج فاندب الناس . فخرج فرأى ما رأيت ، فقال : يا أيها الناس ! اندبوا مع ابن الزبير ، فتسارعت جماعة فاخترت منهم ثلاثين رجلا من الفرسان ، وقلت لهم اني حامل فاحموا ظهري ، سأكفيكم ما أمامي – ان شاء الله – فحملت في الوجه الذي هو فيه وذبوا عني ، واتبعوني حتى فرقت صفوفهم الى أرض خالية فضاء بيننا وبينه . فوالله ما حسب الا اني رسول اليه حتى رأى أمامي من أثر السلاح ، فثنى برذونه راجعا ، وادركته

---

1) كلمة ساقطة من الاصل
2) راجع الطبري 5 : 2818 ؛ أبي العرب ، 71 .
3) فقرة غير واضحة في الأصل .

فطعنته فسقط ، ورميت نفسي عليه ، والقت جاريتاه عليه انفسهما فقطعت يد أحدهما ، وأجهزت عليه ، ورفعت رأسه على رمح ، وجال أصحابه ، وحمل المسلمون في ناحية
(11 ـ أ) وكبروا / فقتلوهم كيف شاءوا ، وثارت الكمائن من كل ناحية ، وسابت خيل المسلمين ورجالهم الى حصن أرينطلة فمنعوهم من دخولهم ، وركبهم المسلمون يمينا وشمالا في السهل والوعر ، ، فقتلوا أنجادهم ، وفرسانهم ، وأكثروا منهم الاسرى حتى لقد كنت أرى في الموضع الواحد ألف أسير .

قيل إنه لما نزل المسلمون لقتال جرجير ، أبرز جرجير ابنته ، وقد كانت من أجمل النساء ، فقال من يقتل عبد الله بن سعد فله نصف ملكي ، وأزوجه ابنتي ، فبلغ ذلك عبد الله ابن سعد فقال : أنا أصدق من العلج ، وأوفي بالعهد منه ، من يقتل جرجير فله ابنته . فقتله عبد الله بن الزبير فدعا عبد الله بن سعد ابنته فقيل انه اتخذها أم ولد ابن الزبير .

قيل لما نزل عبد الله بن سعد على المدينة فحصرها
(11 ـ ب) حصارا شديدا / حتى افتتحها ، وكانت توضع بين يديه أكوام الذهب والفضة ، فقال [للقوم] (2) من أنزلكم هاهنا ؟ فجعل رجل منهم يلتمس في الأرض حتى جاء بنواة زيتون فقال : من هذا لان أهل هذا البحر ليس لهم زيت فكانوا يشترون منا . وكان سهم الفارس ألفا (3) دينار ، وسهم الراجل ألف دينار . ثم قال لابن الزبير : ما أحد أحق بالبشارة منك ، فأمض ، فبشر أمير المؤمنين والناس . فقال : حبا وكرامة .

1) في الأصل هكذا ولعلها سبيطلة ، 27 .
2) في الأصل : فقال للامام .
3) في الأصل : آلاف .

فقيل وصل من سبيطلة الى المدينة في ثمانية عشر يوما ، وقيل في أربعة وعشرين يوما . وانصرف العسكر بعد اقامته بها ستة أشهر – الى مصر بعد أن صالحوا المسلمين على ثلاثمائة قنطار ذهبا . يتأخذ ونهامنهم ويخرجون من بلادهم ففعلوا (1)

الباب الرابع

في وجوب طاعة ولاة الامر / في غير معصية وما في معنى (12 – أ)
ذلك . روى مسلم والبخاري من طريق عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبيء صلى الله عليه وسلم ، قال : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره الا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (2) .

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم يقول : من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له – من مات ولا في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . رواه مسلم (3) وروى البخاري من طريق أنس

1) راجع في أخبار الفتح البلاذري ، 317–322 ، أبي العرب 65–72 ، ابن عبد الحكم ، 183 .

2) روي هذا الحديث في مسلم وقد نقله المؤلف بنصه وروي بنص آخر في الترمذي : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة . النووي 12 : 226 ، ابن العربي 7 : 202 . حسب فنسنك لم يذكر الحديث الا في الترمذي والنسائي وابن ماجة . راجعه 2 : 524 .

3) ونص الحديث في مسلم : حدثنا عبد الله بن معان العنبري حدثنا ابي حدثنا عاصم وهو ابن محمد بن زيد بن محمد عن رافع قال : جاء عبد الله بن عمر الى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال : اطرحوا لابي عبد الرحمان وسادة فقال : اني لم آتك لاجلس أتيتك لاحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله : من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . النووي 12 : 240 .

— رضي الله تعالى عنه — قـال : رسول الله صلى الله عليه وسلم — اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل (1) حبشي كأن رأسه زبيبة (2)

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله
(12 — ب) — صلى الله عليه وسلم — عليك / السمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك مكرمك وأثره عليه . رواه مسلم ابن الحجاج (3)

وعن عبد الله بن عمر — رضي الله عنهمـا — قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في حديث طويل ، قال : ينقطع ، قـال في آخره : ومن بايع اماما فأعطاه حقيقة يمينه وثمرة فؤاده فليطعه ان استطـاع فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر . رواه مسلم (4) .

وروى البخـار ي ومسلم من طريق عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — انهـا الساعة ستكون بعدى إثرة أمور تنكرونهـا . قالوا : يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لـكم (5) .

1) في الأصل : « وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » وهو مخالف لمـا في البخاري .

2) حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى حدثنا شعبة قال : حدثني أبو التياح عن أنس عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال « اسمعوا وأطيعوا وأن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة . ابن حجر 2 : 184 .

3) حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد كلاهما عن يعقوب قال سعيد : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمـن عن ابي حازم عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرمك وأثره عليك . النووي 12 : 224 .

4) .... من بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطـاع فان جاء آخر « ينازعه فاضربوا عنق الآخر فدنوت منه فقلت له انشد الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهوى الى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل انفسنا والله يقول يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالـكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم الخ ... النووي 12 : 232—234 .

5) لم يذكر هذا الحديث في ونسنك .

وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة — رضي الله عنه — :
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم / من أطاعني فقد (13 — أ)
أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله . ومن يطع الأمير فقد أطاعني . ومن عصى الأمير فقد عصاني (1) .

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : من كره من أميره شيئا فليصبر . فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية . رواه البخاري ومسلم (2) .

وعن أبي بكر — رضي الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : من أهان السلطان فقد أهانه الله . رواه الترمذي . وقال حديث حسن (3) .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي بعث آخر . ولانه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فتكثر قالوا : فما تأمرنا ؟ . قال : وفوا بيعة الاول ،

---

1) ورد هذا الحديث بعدة أسانيد لكن الصحابي الراوي هو دائما ابو هريرة . ونصه في مسلم : حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا المغيرة ابن عبد الرحمن الحزامي عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد اطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني النووي 12 : 223 .

2) حدثنا مسدد عبد الوارث عن الجعد عن أبي الرجاء عن ابن عباس عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال من كره من أميره شيئا فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية . ابن حجر 13 : 5 .

3) حدثنا بندرا حدثنا أبو داود حدثنا حميد بن مهران عن سعد بن أوس عن زياد بن كيسب العدوي قال كنت مع ابي بكر تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال : انظروا الى أميرنا يلبس ثياب الفساق فقال ابو بكر اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله . ابن العربي 19 : 68—70 .

(13 ـ ب) ثم أعطوهم حقهم واسألوا الله / الذي لكم فان الله سائل
استرعاهم . رواه البخاري ومسلم رحمهما الله (1) وقد
في صحيح البخاري عن جابر وجرير في الباب الرابع
يجب من تعظيم ولاة الامر وحقهم على رعيتهم وو
طاعتهم في غير معصية (2) .

روينا في صحيح البخاري عن جابر ابن عبد الله
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله
وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة و
والطاعة [والنصح] (3) لكل مسلم (4) .

ومن تأليف الشيخ الامام صدر الدين الشافعي
تكميلا لاربعين الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري (5)
سئل كعب الاحبار (6) عن السلطان قال : ظل الله في

---

1) حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فرات
عن ابي حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عو
صلى الله عليه وسلم قال : كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كا
نبي خلفه وأنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر . قالوا فيما تأمرنا
وفوا بيعة الأول فالاول وأعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استر
النووي 12 : 230—231 .

2) لم يذكر المؤلف هذا الحديث في الباب الرابع .

3) كلمة ساقطة من الأصل والإصلاح من البخاري .

4) حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن اسماعيل عن قيس سمعت جرير ا
الله عنه يقول : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة ان لا اله
وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة والسمع و
والنصح لكل مسلم . ابن حجر 4 : 370 .

5) هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد ا
581/1185 . 656/1258 . محدث ، حافظ ، فقيه . من مؤلفاته :
التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي معجم الشيوخ ، مختصر سن
داود وسماه المجتبى ، الترغيب والترهيب ، التكملة لوفيات النقلة . الس
5 : 108—118 .

6) راجع في ترجمته الذهبي : تذكرة الحفاظ 1 : 45 .

من ناصحه هدى (1) ومن غشه ظلّ . وقال الفضيل ابن عياض :
لو أن لي دعوة تستجاب ما صيرتها الاّ / في الامام العادل . (14 ـــ أ)
لاني لو جعلتها للامام كان صلاح الامام صلاح البلاد والعباد .

وقد قالت العلماء ـــ رضي الله عنهم ـــ ان طاعة الامام هدى لمن استضاء بنورها والخارج من الطاعة منقطع العصمة بريء من الذمة . وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقية . وإياكم والخروج من انس الطاعة الى وحشة المعصية . ومن استعصى السلطان ذل وزل . ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا ارفع محل .

ثم اعلم أن أشرف الولايات وأعظمها ولاية أمور المسلمين ، لأنها موضوعة للخلافة النبوية في حراسة الدين وسياسة الدنيا . فالقيام بها من أفضل القربات . وثمرتها
سلامة الدين وحفظ منهاج المسلمين / وتمكنهم في العلم والعمل . (14 ـــ ب)
وجعل الله بهداه الارزاق ودفع المظالم الى غير ذلك من الأمور التي يعظم نفعها . ويعم قدرها مما لا يقوم به غير الامام وشرح ذلك ان شاء الله . خلود الدارين دار الدنيا ودار الآخرة التي هي دار الحق .

وبالسلطان العادل قيام الدين وعلى قدر النعمة يكون . وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبيء أو رسول أو ملك مقرب رواه أبو نعيم (2) .

---

1) في الأصل أهدى .
2) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني 336/948 . 430/1038 . محدث مؤرخ ، صوفي . من مؤلفاته : حلية الأولياء ، تاريخ اصبهان ، دلائل النبوة ، معرفة الصحابة والمستخرج على الصحيحين . ابن الجزري 1 : 71 .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن النبيء — صلى الله عليه وسلم — قال : لعمل الامـام العادل في رعيته يومـا واحدا افضل من عمل العابد في أهله مائة عام وخمسين عاما (1) ؛

ومن حديث ابن سيرين (2) عن ابي هريرة — رضي الله عنه — رفعه الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :
(15 — أ) عمل ساعة خير من عبادة ستين / سنة (3). وقد أتينا على ذكر المقدمة فلنرجع الى ذكر من ولي افريقية من الملوك الحفصيين رضي الله عنهم .

[1 — : أبو محمد عبد الواحد]

فأولهم في الولايـة المولى المجاهد أبو محمد عبد الواحد ونبين ذلك في فصول .

الفصل الاول : في نسبته .

هو المولى ابو محمد ابن الشيخ ابي حفص عمر ابن يحيى بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محمد بن محبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (4) والشيخ أبو عمر من هنتاتة ، وهم من قبائل المصامدة من جبل درن . وقبيلة هنتاتة من أعظم

---

1) لم يذكر ونسنك هذا الحديث .
2) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري الانصاري 653/33 . 729/110 . كان امـام وقته في علوم الدين بالبصرة تابعي في أشراف الـكتاب . اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . ابن حجر : تهذيب 9 : 214 .
3) لم يذكر ونسنك هذا الحديث .
4) اختص ابن الشماع بذكر نسب الحفصيين .

بباللهم وأكثرهم جمعا واشد قوّة . وهم السابقون / للقيام (15 – ب) قدعوة الامام المهدي (1) ، والممهدون لدولته ، ودولة الأمير عبد المؤمن بعده .

الفصل الثاني
في سبب ولايته أفريقية

وذلك أنه لما تكالب ابن غانية (2) على تونس ، وعلى سائر بلاد افريقية ، وملكها ، ونهض الناصر ابن المنصور (3) من الغرب ، واسترجع افريقية من يد ابن غانية ، ففر من يديه الى قابس ، وأجلب عليها وحاصرها . وجه اليه المولى الناصر المولى أبا محمد عبد الواحد في عساكر الموحدين . فزحف اليه ، والتقيا بتاجرة من جهة قابس . فهزمه واستولى على عسكره ورجع الناصر ظافرا منصورا .

وكان الناصر منازلا للمهدية ، ففتحها ورجع الى تونس فأقام بها الى منتصف سنة ثلاث وستمائة / (1206/603–1207) . (16 – أ) واعتزم على الرحلة الى المغرب . وأراد أن يولي بافريقية من يقوم مقامه . فوقع اختياره على المولى أبي محمد فولاه عليها بعد مراجعة كانت بينه وبينه (4) .

وامتنع المولى أبو محمد من قبول الولاية ، ثم قبلها على شروط شرطها على الناصر وفى له بها . فرفعت رايته بين الموحدين ، وارتحل الناصر الى المغرب ، ورجع المولى

---

1) انظر في ترجمته ابن خلكان 5 : 47 ، ابن خلدون 5 : 465 ، الزركشي 3 .
2) راجع ابن خلدون 6 : 402 ، الزركشي ، 17 ، 18 .
3) هو ابو عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي . رابع خلفاء الدولة الموحدية . 1199–98/595 ، 1214–13/610 . الزركشي ، 17 ، 18 .
4) راجع الزركشي ، 18 .

أبو محمد عبد الواحد عنه بعد وداعه من باجة . فقعد مقعد الامارة في قصبة تونس (1) ، في يوم السبت (2) العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة (10/603 ماي 1207) .

الفصل الثالث

في هديه وفضله وشيء من أخباره

كان المولى ابو محمد عالما فاضلا خيرا شجاعا محسنا ذكيا فطنا . ولما ولي استكتب محمد بن نخيل (3) المشتهر
(16 — ب) بالجود وحسن / الوساطة . فكان الناس معهما في كل خير وأمن . وساس الناس سياسة حسنة ، طال عهدهم (4) بها ، وأمنهم ، ورباهم فرأوا (5) من بركته وبركة أيامه ، وحسن رعايته ، ما غبطهم به ، وأحبوه الحب الشديد .

وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزيرا صادقا (6) ان نسي ذكره وان ذكر أعانه . وان أراد الله به غير ذلك ، جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه » رواه ابو داود باسناد جيد على شرط مسلم (7) . ثم نرجع الى محاسن المولى أبي محمد .

---

1) منقول بتصرف عن ابن خلدون راجع ابن خلدون 6 : 583 ، 584 ، الزركشي 18 .
2) في التقويم يوم الخميس .
3) راجع التجاني 108 ، 147 ، الزركشي 18 .
4) في الأصل : عينهم .
5) كلمة غير واضحة في الأصل .
6) في الأصل : صديقا .
7) حدثنا موسى بن عامر المري ثنا الوليد ثنا زهير بن محمد عن عبد الرحمن بن القسم عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه . ابو داود 2 : 22 .

هو الذي اخترع زمام التضييف للوفود بتونس . وكان رحمه الله — يجلس في كل يوم سبت لمسائل الناس ، وهذا منه اقتداء بالسنة . فقد روى أبو داود والترمذي — رحمهما الله — عن / أبي مريم الأزدي — رضي الله عنه — قال : (17 – أ)
« سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين ، فاحتجب عنهم بدون حاجتهم وخلتهم وفقرهم — احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره قال : فجعل رجلا على حوائج الناس (1) . قال بعض الناس في رحلته : كان الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي (2) — نفعنا الله به — من معارف المولى أبي محمد . وحصلت له منه أموال كثيرة ، ودنيا عريضة . وهذا يدل على فضل المولى أبي محمد — رحمه الله — ، ونقل التجاني (3) في علامة الكرامة (4) ، أن الشيخ أبا اسحاق ابراهيم الغساني . وكان من الصالحين هو والد الكاتب الشهير أبي العباس أحمد الغساني (5) . مدح المولى أبا محمد عبد الواحد بقصيدة تدل على فضله ، وصلاحه منها / (17 – ب)

---

1) حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا يحيى بن حمزة حدثني ابن ابي مريم ان القاسم بن مزيرة اخبره اي ابا مريم الأزدي اخبره قال : « دخلت على معاوية فقال : ما انعمنا بك أبا فلان وهي كلمة تقولها العرب فقلت : حدثنا سمعته اخبرك به سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ولاه الله عز وجل شيئا من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره . قال : فجعل رجلا على حوائج الناس . ابو داود 2 : 25 .

2) هو دفين بلدة المرسى . وقد اطلق اسمه الآن على مقبرة المكان . وبالمقبرة المذكورة الشيخ الصالح جراح الربعي والشيخ العارف بالله ابو محمد المعروف بابينا عبد الله وأبو علي الحـ... الزبيدي . ابن القنفذ ، 146 .

3) هو ابو عبد الله محمد بن أحمد التجاني . ولد ما بين سنة 1272/670 و 1276/675 . صاحب الرحلة . راجع عنه مقدمة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب للرحلة ، 19م—46م .

4) الاسم الكامل : علامة الكرامة في كرامة العلامة . نفس المصدر ، 36م .

5) كلمة ساقطة من الأصل .

ومـاذا عسى المـداح أن يمـدح
وفيك خصال ليس تحصر بالعـد
نهـارك في تدبيـر مـا يصلح الـورى
وليلـك مقسـوم علـى الذكـر والـورد

ومن جودة فهمه ، وذكائه ما نقله عنه الكاتب (1) ابن نخيل قال : « دخل عليه الفقيه عبد السلام البرجيني (2) من تلاميذ الامـام المازري (3) ، وكان تحت جفوة منه ، فقال له المولى أبو محمد : « كيف حالك يا فقيه ؟ فقـال : « في عبادة » . فقـال المولى ابو محمد « نعوضهـا منك ـ ان شاء الله ـ بالشكر » قال ابن نخيل: فلم نفهم ما أراد . فسألت المولى أبا محمد عن المراد . فقال : « اردت قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتظـار الفرج بالصبر عبادة » (4) .

الفصـل الـرابع

في ذكـر وفـاتـه

توفي رحمه الله ـ يوم الخميس أول يوم من عام ثمانية عشر وستمائة (25/618 فيفري 1221) ، وكانت مدته بتونس

---

1) في الأصل : كـاتب .
2) من ايمة جامع الزيتونة وخطبائه توفي سنة 602/5–1206 . راجع عنه ابن القنفذ ، 105 ، 126 ، الابي 3 : 31 ، المعموري : جامع الزيتونة 57 ، 58
3) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري . ويعرف بالامـام . 1061/453 . 1141/536 . محدث ، حافظ ، فقيه ، أصولي متكلم ، أديب . من تصانيفه : المعلم بفوائد مسلم ، ايضاح المحصول في برهان الأصول ، تعليق على المدونة ، شرح التلقين لعبد الوهاب ابن خلكان 4 : 285 عدد 617 . لا تصح تلمذة البرجيني للمازري لأن البرجيني توفي سنة 662 / 1263 حسب ابن القنفذ والمـازري توفي سنة 1141/536 . أنظر ابن خلكان المصدر السابق ؛ ابن القنفذ 126 .
4) النص منقول من ابن القنفذ . انظره ، 105 .

أربعة عشر عاما وشهرين وعشرين يوما ، ودفن بالقصبة ، وقبره يزار ، ويتبرك به . زرته وصليت بمغارة بقربه ، كان / يتعبد (18 – أ) بهـا ينزل اليهـا (1) بادراج تحت الارض . ولما توفي – رحمه الله – قدم ولده المولى أبو زيد (2) ثم طلع هو واخوته إلى المغرب (3) .

ثم بعد ذلك (4) وصل المولى أبو زكريـاء من المغرب صحبة أخيه المولى أبي محمد عبد الله من قبل العادل (5) بن المنصور في شهر رمضان من عام ثمانية عشر (6) (618/ اكتوبر ونوفمبر 1221) ، ثمّ ولي أبو زكريـاء مدينة قابس من قبل اخيه المولى ابي محمد . ثمّ وقع خلاف بينهمـا ، فخرج المولى أبو محمد عبد الله لقتال أخيه ، وخالف (7) عليه الموحدون (8) ، وأبوا قتال المولى أبي زكريا ، فرجع الى تونس ، واستقر بالقصبة . ثمّ وصل المولى ابو زكريـاء لتونس في

1) في الأصل : لهـا .
2) بعد وفاة ابي محمد افترق الناس فريقين بين عبد الرحمن ابنه وابن أخيه ابراهيم بن اسماعيل ابن الشيخ ابي حفص ثم اتفقوا على الأمير ابي زيد . راجع ابن خلدون 6 : 587 ، ابن القنفذ ، 106 .
3) عزل ابو زيد بعد توليته بثلاثة اشهر من طرف الخليفة الموحدي يوسف ابن ابي عبد الله محمد الناصر بن يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمستنصر عند ابن خلدون والمنتصر عند ابن القنفذ والزركشي . فرجع الى المغرب مع اخوته . انظر ابن خلدون 6 : 588 ، ابن القنفذ ، 106 . الزركشي ، 19 .
4) لقد حذف ابن الشمـاع كثيرا من الاحداث قبل وصول ابي زكريا ، من المغرب . كولاية أبي العلاء ادريس بن يوسف ابن عبد المؤمن وأحداث اخرى . انظر ابن خلدون 6 : 588–590 ، ابن القنفذ ، 106 .
5) هو ابو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور ابن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالعادل (621/24–1225 – 624/26–1227) راجع الزركشي ، 20 .
6) لعل ما ذكره ابن الشماع فيه تناقض لان العادل تولى سنة 621 والصحيح ما ذكره ابن القنفذ ان وصول ابي محمد عبد الله مع اخيه ابي زكرياء كانت سنة 623/1226 . انظر . 107 .
7) في الأصل : وخلف .
8) راجع في هذا ابن القنفذ ، 107 ، الزركشي ، 22 .

شهر رجب من عام خمسة وعشرين (625/جوان جويلية 1228)، وملكها ووجه أخاه في البحر الى إشبيلية (1).

[2 — أبو زكرياء الأول]

(18 — ب) المولى أبو زكرياء يحيى بن المولى أبي محمد / عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص دولته في فصول.

الفصل الاول

في ذكر مولده، وبيعته، وشيء من خصاله الحميدة. ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة (599/2—1203)، وبويع له يوم الثامن عشر لشهر رجب من عام خمسة وعشرين وستمائة (24/625 جوان 1228) بالقيروان. ثم جددت له البيعة يوم وصوله لتونس، وهو يوم الاربعاء (2) الرابع والعشرين من الشهر المذكور. وكان رحمه الله من الصالحين، والخلفاء والعلماء المؤيدين.

قيل في رحلته قال: « قرأت على الشيخ الرعيني السوسي — ختم عليه كتاب المستصفى للغزالي (3) وغيره من الكتب — وله قراءات على ابن الصفار، وابن هشام، وناظر في النحو ابن عصفور (4)، وابن الحاج. وكان فقيها أديبا. له وصية

1) حسب ابن خلدون والزركشي النفي كان للمغرب انظرهما 6 : 594، 23.
2) في التقويم يوم الخميس.
3) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، 1058/450. 1111/505. حكيم، متكلم، فقيه أصول، صوفي. من تصانيفه العديدة: احياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، المستصفى في اصول الفقه، الوجيز في فروع الفقه الشافعي. السبكي 4 : 101—182.
4) هو ابو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي المعروف بابن عصفور 1201/597—1265/663. فقيه، نحوي، صوفي، لغوي مؤرخ، شاعر. من تصانيفه: الممتع في التصريف، شرح ديوان المتنبي، شرح المعرب في النحو لم يتم، شرح الجمل للزجاجي في النحو. ابن العماد 5 : 330، 331.

بليغة وله قصيدة في مدح النبيء — صلى الله عليه وسلم — وكان معدودا من العلماء ومن الشعراء / وله شعر بليغ . (19 — أ)

نقل التجاني في علامة الكرامة أن المولى أبا زكريا أهدى لكاتبه ابي العباس أحمد الغساني خوخا وكتب صحبته .
[الوافر]

بعثت بها اليك بنات أيك — غذاها في الثرى در القطار
له لونان مخضر عظيم — وآخر قانيء كالجلنار
ولم تنظر ابا العباس حسنا — يروقك كاخضرار في احمرار
كمثل الخد أحجمه التلاقي — فصرنا ورده أسد الغطار (!)

ونقل عنه في رحلته من طريق الشيخ ابي العباس ابن القصار ، ان المولى أبا زكريا استدعاه (1) يوما بمحضر وزرائه من باب الصرف بعد انفصال مجلسه . والعادة عنده أن من استدعاه من باب الصرف انما يستدعيه للعقوبة .

قال الوزير : فلما استدعيت أدخل بي بابا بابا الى أن انتهيت الى قبة الخليفة . فوجدته جالسا على كرسي من خشب ، وبيده ابرة ، وهو يرقع ثوبه . فسلمت عليه وأمرني بالجلوس / ، (19 — ب) واذا بخادم قد اتاني بمائدة مغطاة ، وأتى بطست . ورفع عن المائدة ، فاذا فيها غذاء واحد ، وخبز غير نقي ، فأكل وأكلت . فلما فرغ ، قال انصرف بسلام فخرجت وما كدت أن أخرج حتى وقعت (2) عندي حيرة ، فعرفت بذلك ابن أبي الحسين » (3)

---

1) في الأصل : استدعي .
2) في الأصل : ووقعت .
3) في الأصل : ابن ابي الحسن .

فقال لي : ماذا صنعت ؟ قلت له : لا شيء ، الا اني لما دخلت عليه نظر في شزرا . فقال لي : دخلت عليه بثيابك هذه ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : من ها هنا أتى عليك . تراه اخبرك أن كسوته الثياب المرقعة وأكله الخشن من الطعام . فاذا انتهيت من فعلك ، ولبسك الثياب الرفيعة ، والا فلا تلومن الا نفسك .

وكان المولى أبو زكرياء — رحمه الله — مختصرا في ثيابه ، ومركوبه ، وفي شأنه كله . وكان كثيرا ما يلبس جبة صوف وحزام صوف . وكان — رحمه الله — اذا خطا على مكتب في طريق يأمر معلم الاولاد أن يسرح أطفال / المكتب ، (20 — أ) ليدخل عليهم السرور . وفي عام تسعة وعشرين وستمائة (629/31—1292) بنى جامع الموحدين (1) ، وبنى صومعته العجيبة وهو الذي بنى مصلى العيدين (2) ، ومدرسة الشماعين (3)

---

1) والتهى منه يوم الجمعة السابع من صفر سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة . وقد أطلقت عليه المصادر كذلك اسم جامع القصبة . ابن القنفذ ، 109 ، الزركشي ، 26 ، 27 .

2) بنى أبو زكرياء يحيى مصلى العيدين سنة 627/29—1230 . ليتمكن سكان العاصمة الجديدة من صلاة العيدين . ولا زالت اثاره موجودة بقشلة القرجاني المخصصة الآن للحرس الوطني . راجع الزركشي ، 25 .

3) انفرد ابن الشماع بذكر مؤسسها وهو أبو زكرياء يحيى الأول ، ويبدو أن تأسيسها قد عاصر فترة الاستقلال عن الدولة الموحدية في حدود سنة 633/1237 . أي بعد أن أتم ابو زكرياء بناء صومعة الجامع الموحدي سنة 633/1235 . وقد زارها البلوي بعد رجوعه من الحج سنة 739/ 1338 ، ونزل بها ، واجتمع باخوانه من الطلبة ، والمدرسين . وقد أسسها الخليفة الحفصي قرب الجامع الأعظم قريبة من سوق العطارين ، الذي كان يعتبر في العهد الحفصي أهم مركز تجاري لتونس . ولا زالت هذة المدرسة قائمة الى الآن وهي تقع بسوق البلاغجية زنقة الشماعين . ومن أشهر مشائخها : ابو القاسم ابن البراء وأبو علي عمر بن قداح الهواري وأبو القاسم القسنطيني وأبو عبد الله البحيري وأبو العباس القلشاني والشيخ محمد الزلدوي . وينقل الاستاذ محمد ابن الخوجة أن جراية المدرس بها في الدولة الحفصية عشرة دنانير . البلوي : مخط . 153 — ب . ابن عرفة التفسير . مخط . 116 — ب ، الزركشي ، 70 ، 71 ، 137 ، 141 ، 149 ، 151 ، ابن الخوجة ، 177 ، 178 .

وسوق العطارين (1) ، وحصن تونس ، وجدد رسوم القصبة . وجمعت دولته رؤساء العلماء ، وفحول الشعراء ، وأهل البيوتات من الموحدين ، وجباة الاموال ، ما لم يجتمع لغيره .

الفصـــل الثـــاني

فى ذكر شجـاعتـه وحرمته وقوة جيشـه وكثرة بيـوت أمواله وما جمـع من كتب العلم

لما وصل الامام ابو زكريا من المغرب ، صحبه المولى أبو محمـد عبد الله من قبل العادل ابن منصور — تعرض لهما الاعراب فى أحواز افريقية — فاختار المولى أبو زكريا من الجيش من عرف نجابته . وسار إليهم بنفسه ومن معه . وهذا أول من ظهر من نجابته — على / صغر سنه — ثم وصل تونس (20 — ب
وجمع الناس للقاء أخيه ، وخرج بالموحدين ، وأهل تونس خامس رمضان عام ثمانية عشر وستمائة (2) (618 / 23 أكتوبر 1221)

وكانت جواسيسه بالمغرب الأقصى حتى لا يشذّ عنه من خفايا الامور شيء . وبلغ جيشه سبعين ألفا من الفرسان النجباء . وجمع — بعدله وسياسته — أموالا لا تحصى إلا بالبيت . والبيت عبارة عن ألف ألف ، وذلك مائة ألف عشرة مرات ، ذكر أنه ترك سبعة عشر بيتا من المال ، وترك من كتب العلم ستة وثلاثين ألف سفر . (3)

---

1) كان سوق البلاغجية في العهد الحفصي يسمى سوق الشماعين ، ثم انتقل بيع الشمع الى العطارين . ولعله السوق الموجود الآن . ويبدو أن سوق الشماعين يختلف عن سوق العطارين والا ماذكره ابن الشماع بمفرده . ابن الخوجة ، 176—178 .

2) انظر ص 40 . تعليق 6 .

3) تعرض لاخبارها التجاني عندما ترجم للفقيه ابي علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطربلسي فذكر انه تولى امور المكتبة في عهد المستنصر

الفصــل الثــالث

في ذكر بيعته الثانية ، وذكر اسمه في الخطبة ، وما دخل تحت طاعته من الأقاليم و ذكر افتتاحه مدينة تلمسان ، وما يتصل بذلك .

المولى أبو زكريا — رحمه الله — هو أول بني حفص بالاستفراد (1) بالامارة . وان كان أبوه وجده لم تتقدم دولة الموحدين الا بهما ،
(21 — أ) لكن الشيخ أبو حفص / سلم الأمر لعبد المؤمن بعد وفاة المهدي — اقتداء به — اذ كان المهدي قدم عبد المؤمن .

فقال الشيخ أبو حفص ما نقدم الا من قدمه هو في حياته . ثم اضطربت الأحوال بالمغرب ، وهاجت الفتن بين بني عبد المؤمن . فاستبد المولى ابو زكريا بافريقية اذ كانت بلده وبلد أبيه وأخيه . ورجع أهلها على محبته . فبويع البيعة الثانية في عام أربعة وثلاثين (634 / 36 — 1237) ، وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بأمير المؤمنين ، واقتصر على الأمير (2) ، وعرض له الشعراء في ذلك . فأبى . ومما عرض به بعض الشعراء قوله — عفا الله عنه —

ألا صلنــــي أميــــر المــــؤمنيـــــنا
فــأنت بهـــا أحـــق العـــالميـــنا

ثم عزل سنة 667/68–1269 . ثم لما ولى الواثق امره بالنظر في امور المكتبة . وسئل عنها حين كالت لنظره أولا فذكر ألها كانت ثلاثين ألف سفر وانه أخر عنها وأعيد اليها فوجدها عشرين ألف سفر وانه الان اختبرها فوجدها تقصر عن ستة آلاف سفر ، فسئل عن موجب ذلك ، فقال : المطر وأيدي البشر . التجاني ، 274–276 .

1) في الأصل : الاستراد .

2) راجع ابن خلدون 6 : 596 ، ابن القنفذ ، 109 ، الزركشي ، 27 .

وفى سنة خمس وثلاثين (635 — / 37 — 1238) وصلت بيعة زيان بن مردنيش (1) صاحب شاطبة صحبة رسوله الاديب المحدث الحافظ ابى عبد الله محمد ابن الفقيه العالم المشتهر / (21 — ب) بابن الابار (2) ، وانشد القصيدة السينية الفريدة التى أولها :

أدرك بخيلك خيــل اللــه أنــدلســـا

ان السبيـــل الى منجـــاتهـــا درســـا (3)

وفى سنة تسع وثلاثين (639 / 41 — 1242) تحرك الموك أبو زكريا حركته الى مدينة تلمسان فى شوال (أفريل ماى 1242) وجيشه أربعة وستون الفا فافتتحها (4) .

وفى سنة أربعين (640 / 42 — 1243) وصلت بيعة سبته من قبل رئيسها ابن خلاص (5) . وبيعة سجلماسة (6) وبيعة طنجه (7) من قبل صاحبها محمد الرميم (8) . ثم وصل هو

---

1) انظر ابن خلدون 6 : 601 .

2) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي الشهير بابن الابار . 1199/595 . 1259/658 . فقيه ، محدث ، حافظ مقرىء ، نحوي ، أديب ، لغوي ، كاتب ، مؤرخ . من تصانيفه : تكملة الصلة لابن بشكوال ، الحلة السيراء ، المعجم . الغبريني 183—186 .

3) ذكر نصها الكامل ابن خلدون وعدد ابياتها سبعة واربعون بيتا . وعند الزركشي عدد الأبيات ستة وستون بيتا . ابن خلدون 6 : 601—604 ، الزركشي ، 28 .

4) نقل ابن الشماع هذه المعلومات عن ابن القنفذ ، 109 راجع خبر الحادثة في ابن خلدون 6 : 608—609 .

5) هو أبو علي بن خلاص من اهل بلنسية ، اتصل بخدمة الرشيد . فولاه سبتة واستقل بها . ولما استفحل أمر ابي زكرياء بافريقية وجه ابن خلاص بيعته إليه . ابن خلدون 6 : 614—615 .

6) يذكر ابن القنفذ أن وصول بيعة سجلماسة كان سنة 643/45—1246 . ابن القنفذ ، 109 . انظر كذلك ابن خلدون 6 : 614 .

7) راجع ابن خلدون 6 : 614 .

8) هو أبو عبد الله محمد بن الرميمي يذكره ابن خلدون كوزير لمحمد بن هود صاحب المرية . انظره ، 6 : 615 .

لتونس ، وأقام بها الى ان اعتقله المولى المنتصر ، وأخذ ماله . وقيل له وهو يعذب :

من أين جمعت هذه الأموال ؟ فقال : « من هذا الذى أنا فيه » .

وفى سنة ثلاث وأربعين (643 / 45 — 1246) وصلت بيعة اشبيلية (1) ، ووصل وفدهم ، ووفد المرية ، وغرناطة ، وقرئت بيعة اشبيلية

الفصل الرابع

في ذكر وفاته رحمه الله تعالى وما يتصل بذلك

(22 — أ) ففى سنة / سبع وأربعين (647 / 49 — 1250) تحرك المولى أبو زكريا حركته التى توفى فيها على بونة ، وذلك ليلة الجمعة (2) التاسع والعشرين (3) لجمادى الاخرة (9 أكتوبر 1249) ، وهو ابن تسع وأربعين سنة . فكانت دولته أحد عشر عاما وأحدى عشر شهرا واحدى عشر يوما . ودفن بجامع بونة الى جانب الشيخ الصالح بن مروان عبد الملك اليحصبى (4) ثم نقل جسده بعد ذلك الى قسنطينة ودفن بها .

وسببه أن المولى أبا عبد الله محمد المنتصر لما تحقق عنده عمارة الفرنصيص (5) على إفريقية فى عام ثمان وستين (668 / 69 — 1270) — على ما يأتى بعد — ، بعث خديمه

1) نفس المصدر 6 : 612 ، ابن القنفذ ، 109 .
2) في التقويم يوم السبت .
3) هذا خلاف ماذكره ابن خلدون الذي يؤرخ وفاته بالثالث والعشرين من جمادي الاخرة . وخلاف ما ذكره ابن القنفذ الذي يؤرخ بالسابع والعشرين من نفس الشهر . ابن خلدون 6 : 624 ، ابن القنفذ ، 114 .
4) يعتبره الغبريني ممن يستجاب عند قبره الدعاء بالاضافة لابي مدين شعيب وأبي زكرياء يحيى الزواوي ومعروف الكرخي . الغبريني ، 10 ، الورثلاني 291 .
5) هكذا في الأصل .

ابراهيم النجار الاندلسى لبونة . فنقل جسد والده لقسنطينة ، ودفن بهـا .

وترك — رحمه الله — من الذكور أربعة :

1) — المولى أبو عبد الله محمد المنتصر (1) وهو القائم بالأمور بعـده .

2) — والمولى أبو اسحاق . وهو القائم بالأمر بعد المولى الواثق ابن المولى المنتصر / (22 — ب)

3) — والمولى أبو بكر ولم يول أمرا ؛

4) — والمولى أبو الحفص عمر . والقائم بالأمر بعد الدعى ابن ابي عمارة واستقرت الامارة (2) في عقب المولى ابـي اسحـــاق (3) .

وفي عام ثمانية وستين (668 / 69 — 1270) توفي أيضا صديقه الملك الصالح سلطان الشام (4) . وكان ايضا دينا عفيفا كريما ، حسن السياسة. وفيها توفي صاحب اليمن الملك المنصور ابن رسول (5) وفيها توفي الانذور عظيم النصارى بصقلية والارض الكبيرة (6) وفيها توفي الاذفنش الاحـول عظيم النصارى بأرض الأندلس . فكانوا يرون أن حذاق ملوك الدنيا جمعت وفاتهم سنة واحدة شمسيـة .

---

1) يسميه ابن خلدون المستنصر وكذلك ابن القنفذ والزركشي . راجعهم 6 : 117/6–626 ، 32 .

2) في الأصل : الإمـامـة .

3) النص كأنه مأخوذ عن ابن القنفذ ، 114 .

4) في الأصل : السامي وهو غلط

5) النقل حرفي عن ابن القنفذ مع قليل من التصرف ، ابن القنفذ ، 115 .

6) يقتصر ابن القنفذ على وصفه بعظيم النصرانية بالاندلس دون ذكر صقلية راجعه ، 115 .

ورثى الشعراء المولى أبا زكريا بكثير . ومن أحسن ذلك قول أبي عمرو عثمان بن عتيق المهلوى المعروف بابن عربية (1) فان كل بيت جمع بين رثاء المولى ابي زكريا ، وتهنئة (23 — أ) المولى المنتصر وأول القصيدة / . [الكامل]

يلذ زمان للفتى ثم يوقع (ا) ... ويضر هـذا الدهـر ثمة ينفع
بابن طوائد الامامة مغرب (ا) ... فلقد جلا شمس الخلافة مطلع
فأضاء بالمرحوم ذلكم الثرى ... وأنار بالمنصور ذلك المرتع
بسطوا لسان الذكر فيمن بايعوا ... وثنوا عنان الصبر فيمن ودعوا
ورأوا جلال محمد فتباشروا ... وتذكروا يحيى الرضى فتفجعوا

[3 — أبو عبد الله محمد المنتصر]

المولى أبو عبد الله محمد المنتصر ابن المولى أبي زكرياء ابن المولى عبد اللهأبو محمد عبد الواحد . ونذكر دولته في فصول:

الفصـــل الاول

في ذكر بيعته وما يتصل بهـا

بويع في الليلـة التي توفي فيها والده . وذلك يوم الجمعة التاسع والعشرون جمادى الاخرة (2) من سنة سبع وأربعين وستمائة (647 / 1249) . وسنه اذاك ثمانية عشر ، أو تسعة عشر

---

1) هو أبو عمرو عثمان بن عتيق المهدوي المشتهر بابن عربية 1203/600 . 1260/659 . كان قاضيا بتبرسق وهو من كبار أدباء الأمير أبي زكرياء . وله في ولده زكرياء صاحب بجاية كتاب الروضة الرياني امتداح الأمير ابي يحيى . ابن القنفذ ، 122 .

2) هذه البيعة الأولى . أما البيعة الثانية فقد كانت يوم الثالث من رجب من سنة 1249/647. انظر ابن خلدون 6 : 626 ؛ ابن القنفذ ، 117، الزركشي 33

سنة (1) . وقيل كان اثنين وعشرين سنة لان ميلاده سنة خمس وعشرين (2) .

وعقد له البيعة عمه الأمير ابو عبد الله محمد اللحياني (3) وقد كان أبوه / عهد إليه فتمم له ذلك عمه ، والقدر يقول : (23 — ب) اجتهد في صقل سيف فيك يجرب (فقد) قتل بعد ذلك على ما سيأتي بيانه .

ثم وصل المولى المنتصر لتونس يوم الثلاثاء الثالث لرجب من العام المذكور (647 / 12 أكتوبر 1249) فجددت له البيعة بها . وبعد (4) موت أبيه بشهر ولد له الأمير يحيى الواثق بتونس : فمات في شهر واحد من بني حفص ملك ، وولي ملك ، وولد ملك . وأم المنتصر : ام ولد اسمها عطف ، وهي التي أمرت ببناء جامع التوفيق ، والمدرسة التوفيقية (5)

---

1) اختص بها ابن الشماع .
2) ابن القنفذ ، 117 .
3) ابن خلدون 6 : 626 .
4) في الأصل قبل .
5) بنتها الأميرة عطف زوجة أبي زكرياء يحيى في عهد ابنها أبي عبد الله محمد المستنصر مع الجامع المسمى بجامع التوفيق . ولم نعثر على تاريخ تأسيسها ، غير وفاة أول مدرس بها وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي سنة 1261/657 . يرجح أنها تأسست قبل هذه السنة . ويستفاد من كلام ابن أبي دينار انها كانت قبالة زاوية الشيخ ابي القاسم الزليجي وانها اندرست آثارها الآن . وقد جددت عمارتها في العهد الحسيني ، وحافظت على اسمها القديم ، لكنها لم تبن على القاس المدرسة الأصلية لعدم وجود صلة بينها وبين جامع التوفيق . ومن أول مدرسي التوفيقية : ابن سيد الناس المحدث المشهور ، استدعاه المستنصر الحفصي لشهرته ليدرس الحديث بالتوفيقية . وأبو عبد الله محمد الشريف المتوفي سنة 1268/666 من أصحاب أبي الحسن الشاذلي والإمام ابن عرفة ، الذى فر منها عند انتشار الطاعون بتونس . وسكنها تلميذه محمد الأبي سنة 1393/796 . ويطلق الآن على جامع التوفيق اسم جامع الهواء وهو يوجد بنهج جامع الهواء . ابن ابي دينار ، 135 ، السراج 3 : 694 ، ابن الخوجة 178 ، 266
Brunschvig : Medersa

الفصــل الثــاني

ما كان في مدته من الحوادث ومـا يتصل بذلك

ففي سنة ثمان وأربعين (648 / 50 — 1250) كانت الكائنة العظيمة التي أوقع المولى المنتصر لعميه أبي عبد الله اللحياني، وأبي ابراهيم (1) وكان أسن من أبيه . وأبوه أصغر أولاد المولى أبي محمد ، وكلهم قتلوا بالسيف الا المولى / أبا زكريا (2) . (24 — أ)

وفي هذه السنة نصبت المقصورة بجامع الموحدين (3) . وفي آخرها ابتدىء البناء في أبي فهر (4) ، وفي سنة احدى وخمسين (651 / 53 — 1254) ، انفصل المولى ابو اسحاق (5) عن (6) محلة أخيه المولى المنتصر — لخوفه منه — وقصد الزاب . وأطاعته بسكرة وبايعته رياح . ثم قصد قابس وقابلها ، وانقادت له جموع وافرة . ثم قصد المغرب الاقصى ، وجاز الى الأندلس . فاكرمه ملكها الامير أبو عبد الله بن الاحمر . وشهد هناك الوقائع في عدو الدين . واشتهر اسمه وعلا صيته . وكان أخوه المولى المنتصر يوجه الهدايا الضخمة لابن الاحمر ليمسك عنه أخاه .

وفي هذه السنة [أرسل] (7) المولى المنتصر أبا علي عمر بن النعمان (8) الى المشرق ، فقتل أخاه ميمونا . وكان من كبار

---

1) راجع تفاصيل الحادثة في ابن خلدون 6 : 627—628 .
2) راجع عدد أبناء أبي محمد عبد الواحد وأخوة أبي زكرياء يحيى الأول في برنشفيك 2 : الجدول رقم 1 . بعد صفحة 445 .
3) ابن قنفذ ، 117 ، الزركشي ، 33 .
4) وصفها ابن خلدون وصفا دقيقا ، انظره 6 : 630—631 .
5) فصل حادثة خروج ابي اسحاق . ابن خلدون 6 : 631—632 وابن القنفذ 118 وأهملها الزركشي .
6) في الأصل : من .
7) في الأصل كلمة غير واضحة .
8) كان بنو النعمان هؤلاء من مشيخة هنتاتة ورؤسائهم . وكان لهم في دولة الأمير أبي زكرياء ظهور ، وخلصت ولاية قسنطينة لهم يستعملون عليها

مشيخة أبيه ولما أخذا وثقفا قال أحدهما لصاحبه : لا يجد علي / كل واحدمنا الا ما كان يسر له . (24 — ب)

وكان من سيرة علي أنه لم يشر بقتل رجل قط بل يرى نفيه . وكان أخوه ميمون يرى القتل أنفع (1) . ولم يقتل وقتل أخوه ميمون .

وفي خامس جمادى الاخيرة من سنة أربع وخمسين (654 / 30 جوان 1256) ظهرت النار الموعود بها في الحجاز ، بين يدي الساعة (2) وفي الحديث الصحيح « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بالحجاز تضيء (3) منها الآفاق . ويخرج منها شرار كلها والابل حمر بل بيض (4) . وأخرج (5) مسلم من طريق أبي هريرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار كما تقدم فظهرت عند قاع الشحيم في صورة البلد العظيم . لها ارتفاع هائل . ولها شرفات كشرفات المدن على سور محيط بها . وقد تعلقت بعنان السماء تأكل كل جبل مرت عليه . ولها أبواب يخرج منها انهار من نار / حمر (25 — أ) وزرق . ولها دوى كالرعد تحمل الصخور وتصرف واشتد الامر وركب بعض الناس الى موضع أقلعت عنه النار . فرأوا ما هالهم . وطبح أهل المدينة . ولم يعد واحد يقيم في بيته من

من قرابتهم . وكان كبيرهم أبو علي وتلوه ميمون وعبد الواحد ، وكان لهم في مداخلة اللحياني أثر . فلما استوثق للمستنصر الأمر نكبهم فارسل أبا علي للاسكندرية وقتل ميمون . ابن خلدون 6 : 633 ، ابن القنفذ ، 118 . اكل الحادثة الزركشي .

1) كلمة غير واضحة في الأصل .

2) ذكرها ابن القنفذ ، 119 .

3) في الأصل : تضيق

4) لم يذكر هذا الحديث في ونسلك

5) في الأصل : وأخرجه .

الحر . فلجأ الناس الى حرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولاذوا بحجرته . وتابوا وصلى من لم يصل قط . وتاب أمير المدينة شهاب الدين عما أحدثه من الفجور والظلم .

وقد كان الناس أرادوا الرحيل من المدينة ، ثم أدركهم الله بلطفه وابتعدت (1) النار ، وصار عملها شمالا . وأحرقت جبال تهامة ، وقرن اليمن ، وعاينها أهل مكة ثم خمدت . (2)

وفي سنة خمس وخمسين (655 / 57 – 1258) وصلت الزرافة من عند ملوك السودان . فبقيت أياما ، ثم أهداها السلطان لبعض ملوك النصارى (3) . وفي سنة ست وستين (666 / 67 – 1268) قتل صاحب مراكش ادريس / المعروف بابن دبوس . (25 – ب)
وهو آخر ملوك بني عبد المؤمن . وعددهم ثلاثة عشر . أولهم عبد المؤمن (4) .

الفصـــل الثـــالث

في ذكر شيمه وفضائله وما طاع له من الاقاليم وما اتصل بذلك

ففي سنة ثمان وأربعين (648 / 50 – 1251) (5) بنيت السقاية شرقي جامع الزيتونة – شرفه الله بذكره – (6) ، وفيها جعلت الشكلة لليهود ، وبولغ في ذمتهم (7) وفي سنة احدى وخمسين (651 / 53 – 1254) بنيت قبة الجلوس وبني الممشى

---

1) في الأصل : وتعدت
2) النص منقول من ابن القنفذ ، 120 .
3) نفس المصدر والصفحة .
4) واصل ابن القنفذ تعداد ملوك الموحدين . أنظره ، 131 .
5) في الأصل ثلاث وأربعين وهو خلاف المصادر .
6) راجع ابن القنفذ ، 117 ، الزركشي ، 33 .
7) نفس عبارة ابن القنفذ ـ انظره ، 117 .

الى رأس الطابية . وفي سنة اثنين وخمسين (652 / 54 — 1255) وصلت بيعة بني مرين (1) من فاس ، ودعي له على منبرها . وفي سنة سبع وخمسين (657 / 58 — 1259) وصلت بيعة مكة بانشاء عبد الحق ابن سبعين (2) ، وقرئت على الناس ، وكان يدعى بالأمير . فلما وصلت بيعة مكة (3) وغيرها سمي بأمير المؤمنين . وفي عام ستين وستمائة (660 / 61 — 1262) نصب للقضاء أبا عبد الله محمد بن ابراهيم المهدوي / المعروف بابن (26 — أ) الخباز (4) من أهل العلم والورع . وكان المولى المنتصر يقول « ما يسألني الله عن أمر الامة حيث قدمت عليهم ابن الخباز .

وفي هذه السنة أحدث التعامل بدراهم الخندوس في أواسط ربيع الأول (فيفري 1262) رفقا بالناس في تعاملهم ، واعانة لهم على التعامل بالحلال . وجرى ذلك على مهيع المشارقة في تعاملهم بالفلوس . ثم تعرض لتلك (5) الدراهم بالفساد ، وتضرر الناس بها . فقطعت في اواسط شوال (أوت 1262) من السنة المذكورة . وفي عام ستة وستين (666 / 67 — 1268) أكمل المولى المنتصر بناء الحنية العادية (6) المجلوب عليها ماء

---

1) ابن خلدون 6 : 651 ، 652 ، ابن القنفذ ، 119 .

2) هو ابو محمد عبد الحق بن سبعين . رحل من بلدة مرسيه إلى تونس ، وكان حافظا للعلوم الشرعية والعقلية ، يتكلم بمذاهب غريبة ويقول برأي الوحدة ويزعم بالتصوف في الأكوان عن الجملة ، فارهق في عقيدته ورمى بالكفر وأعلن بالنكير عليه والمطالبة له شيخ المتكلمين باشبيلية ثم بتونس ابو بكر بن خليل السكوني . وخشي أن تأسيره البينات فلحق بمكة . ابن خلدون 6 : 634–635 .

3) راجع نص البيعة في ابن خلدون 6 : 635–651 .

4) هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الخباز اللواتي المهدوي ، 600/3–1204 683/84–1285 . تفقه على ابي زكرياء البرقي وأخذ عن ابن البراء . ثم رحل للمشرق وحج ودخل بغداد . قرأ الحاصل على مؤلفه الأرموي . وتولى القضاء سنة 660 وصرف عنه سنة 662 . مخلوف 192 . عدد 644 .

5) في الأصل : لذلك .

6) الزركشي ، 38 .

عيون زغوان الى مدينة قرطاجنة في الزمان المتقدم . فجعل طائفة من الماء لسقاية جامع الزيتونة ، ورد باقي الماء لجنة أبي فهر .

(26 – ب) وفي ذلك يقول الأديب حازم ابن محمد / بن حازم (1) في مقصورته .

(الرجز – المتدارك)

أجْرَيْتَ مِنْ عَيْنٍ ومِنْ عَيْنٍ بِهَا
نَهْرَيْنِ قَدْ عَمَّا البَرَايَا والبَرَى (2)
وكفرت طاعته لمؤمن طاعته لكافر فيما مضى (3)
وانساب في قصر ابي فهر الذي
بكل قصر في الجمال قد زرى (4)
قَصْرٌ تَرَاءى بين بحر سلسل وسَجْسَجٍ منَ الظلال قدضفا
بُحيرة أعلى الالهُ قَدْرهَا قَدْعذُبَ الماءُ بها وقد رها (5)

وفي هذه السنة تحرك السلطان حركة رياح التي قبض فيها على رأسهم سهل بن موسى ، وعمه سباع ، ويحى بن موسى ، وحداد وأصحابهم . وضرب أعناقهم ، ووجه رؤوسهم على الرماح الى تونس (6) . وفي ذلك يقول . الاديب حازم (الكامل – المتوافر)

---

1) أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني . أخذ عن الشلوبين وعنه أخذ جماعة منهم ابن رشيد والعبدري . قدم تونس ومدح أميرها المستنصر بالله بمقصورته المشهورة ومدحه أيضا بقصيدته الطائية . له تآليف منها منهاج البلغاء وسراج الأدباء في البلاغة . توفي 684/85–1386 مخلوف 197 عدد 667 .
2) هذا البيت ترتيبه في المقصورة 95 .
3) وهذا ترتيبه 100 .
4) وهذا ترتيبه 114 . انظر القرطاجني : قصائد ، 22 ، 23 .
5) انظر الابيات 115 – 116 من القرطاجني : قصائد ، 24 .
6) كلام مختصر عن ابن القنفذ ، 129 ، 130 . اجمل ابن الشماع هذه الحركة حتى لا تصبح ذات أهمية .

بُلغت في الأعداء كل مراد | وغدا لك التأييدُ ذا إسعادِ
وغدا الأعادي من رياح كلما | هنتْ بنصركم الرّياح كعادِ
أضحى سِباعٌ للسباع فريسةً | وسطا بشبل غالب الآسادِ / (27 — أ)
وكبت بحداد وسائر صحبه | دُهمٌ أتتْ من مربط الحداد
طوقتهم بظباك اذ لم يشكروا | ما طوّقوا من أنعم وأيادِ
امطيتهم غرّ الجياد فما ابتغوا | الا امتطاء أداهم الاقياد (1)
فتحٌ به أبواب كلّ بشارة | فُتحت بيمن اليمن والانجاد
ان كان قبل العيد قدّم يومه | فلقد غدا من أكرم الاعياد (2)

وللاديب المجيد أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح ابي تميم الحميرى في ذلك :

(الطويل)

فيا حسن ما قرت به أعين الورى | رؤوس رياح في رؤوس رماح
فهذي دماء المارقين مباحة | وهن دم الاسلام غير مباح
بمستنصر يرمي العدى بكتائب | تعم نواحي أرضهم بنواح

الفصل الرابع

في ذكر نزول النصارى بتونس مع ملك الفرنسيس (3) وما السبب في ذلك (4)

ان ما دعاه للنزول بتونس (5) فيما زعموا أن تجار أرضه ادعوا على اللحياني (6) بعد نكبته أنهم أسلفوه ثلاثمائة دينار ذهبا

1) تقديم وتأخير مع البيت السابق . انظر القرطاجني ، 114 .
2) أغلاط كثيرة في المخطوط وزيادة ونقص والإصلاح من الديوان . نفس المصدر والصفحة .
3) انظر ابن خلدون 6 : 663 .
4) في الأصل : وما لسبب في ذلك أحد ما ادعاه .
5) في الأصل : كلمة غير واضحة بعد تونس .
6) في الأصل : اليماني : وهو غلط . راجع ابن خلدون 6 : 665 .

(27 ــ ب) من غير أن يستندوا / الى شيء في ذلك ، أو لسبب فامتنع السلطان من اعطائهم . فشكرا الى ملكهم . فامتعظ لهم ، وعمر على تـونس .

وقيل أن السبب في حركته على تونس : ان الفرنسيس ذكر عند المنتصر . فقال : هو الذي أسر هؤلاء فاطلقوه . يشير الى الاتراك الذين كانوا بين يديه ، وكان اجتمع له منهم جماعة وافرة احتقارا لامره ، فبلغ الفرنسيس مقالته ، فحقد عليه ، وحشد أهل ملته ، واستعان بملوكهم . فطلب منه السلطان المهادنة (1) ، فامتنع من ذلك ، واغلظ للرسول ، وعرفه انه متوجه اليه ، فبعث السلطان ــ رحمه الله ــ لاهل الاقطار يستفـزهم .

وكان الفرنسيس في عام سبعة وأربعين وستمائة (49 ــ 1250) نزل على مدينة دمياط . فامكن الله منه ، فأخذ وقيد . ووكل به فتى اسمه صبيح وسجن بدار بمصر تعرف بدار ابن لقمـان .

(28 ــ أ) بعد أن مزق جيشه كل ممزق / في مدة أقل من تسعة أشهر ، وحمل الفرنسيس وطيف على جمل ، ووجهه للذنبه مع عدة من عظماء أصحابه وطيف بهم .

وافتدى الفرنسيس نفسه بقناطير من الذهب ، وحاف أن لا يطأ أرض المسلمين بعدها أبدا (2) فأبت نفسه الخبيثة الا نكث العهد ، وشرع في حركته الى تونس فكتب اليه صاحب الديار المصرية من نظم كمال الدين بن مطروح أبياتا . وبعث بها مع رسول . انشدها له وهو قـائم بمجلسه :

---

1) في الأصل : الهادينة .
2) راجع تفاصيل الواقعة في ابن خلدون 6 : 665 .

(السـريـع)

قل للفرنسيس اذا جئتـــــه ... مقال صدق من قؤول (1) فصيح
آجـرك الله عـلى مـا جـرى ... من قتل عباد يسوع (2) المسيح
قد جئت مصر تبتغي أخذها (3) ... تحسب أن الزمر يا طبل (4) ريح
فسـاقـك الحيـن الى أدهـــم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل فرسانك أودعتهــــم ... بسوء تدبيرك بطن الضريح (5)/ (28 — ب)
سبعون ألفا لا يرى منهــــم ... الا قتيـل أو اسيـر جـريح
أعادك الله الى مثلهـــا (6) ... لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بـذا راضيـا ... فرب غبن (7) قد أتى من نصيح (8)
وقل لهم ان أزمعـوا عـودة ... لاخذ ثأر أو لفعل (9) قبيح
دار ابن لقمان على حالها (10) ... والقيد باق والطواشي (11) صبيح

ومن غريب الاتفاق أن الفرنسيس لما دخل تونس ، قال أحد أدبائها شعرا حسنا :

(الخفيـف)

يا فرنسيس هـذه اخت مصر ... فتهيأ لما اليـه تصيـــر
لك فيها دار ابن لقمان قبـر ... وطواشيـك منكر ونـكيـر

---

1) في ابن خلدون : وزير . 6 : 666 .
2) في ابن خلدون : نصارى . نفس الصفحة .
3) في ابن خلدون : اتيت مصر تبتغي ملكها . نفس الصفحة .
4) في ابن خلدون : بالطبل نفس الصفحة .
5) في ابن خلدون وكل اصحابك أودعتهم . نفس الصفحة . وفي ابن القنفذ رحت وأصحابك أودعتهم : بقبح افعالك بطن الضريح . انظره ، 110 .
6) في ابن خلدون : الهمك الله الى مثلها . 6 : 667 .
في ابن القنفذ : فردك الله الى مثلها . انظره 111 .
7) في ابن خلدون فرب غشى قد أتى من نصيح . 6 : 667 .
8) في ابن خلدون وابن القنفذ ذكر بيت آخر وهو فاتخذوه كاهنا انه أنصح من شق لكم أو نصيح . ابن خلدون 6 : 667 ، ابن القنفذ ، 111 .
9) في ابن خلدون : أو لشغل قبيح . انظره 6 : 667 .
10) يقصد بذلك دار اعتقاله بالاسكندرية . ابن خلدون 6 : 667 ؛ ابن القنفذ 111
11) الطواشي : في عرف أهل مصر هو الخصي نفس المصدر والصفحة من ابن خلدون .

فصدقت الاقدار قوله ومات بأرض المعلقة وأقبر بها ، وكان نزوله على تونس في يوم الخميس السادس والعشرين لذي القعدة سنة ثمان وستين (668 / 17 جوان 1270) بجموع وافرة ، فرسانا ورجالا ورماة. ومددهم متصل كل يوم بالرجال والأقوات والعدة (1) .

وفي عاشر محرم من عام تسعة وستين (669 / 29 أوت 1270)
(29 – أ) توفي طاغيتهم الفرنسيس / أصبح ميتا حتف أنفه . وقيل أصابه سهم غريب في بعض المواقف فأماته (2) ، وقيل أصابه مرض الوباء . (3) وقيل السلطان بعث إليه بسيف مسموم مع سليمان ابن حزام مع سليمان الدلاجي كان فيه هلاكه . وأرسل الله عليهم وباء أمات كثيرا منهم . وطلبوا الصلح في أوائل ربيع الاول (أكتوبر 1270) فصالحهم السلطان – رضي الله عنه – على الانصراف الى بلادهم من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين، خشية أن يطأوا بعض البلاد. فلا يقدرون على مدافعتهم على أن يدفع لهم ألف قنطار ومائة قنطار وعشرة قناطير من الفضة الخالصة في مدة خمسة عشر عاما . فتمم الصلح ، ودخل المسلمون محلتهم ، وباعوا معهم واشتروا ، فكانت مدة اقامتهم بتونس أربعة أشهر وعشرة أيام (4)

ولما انصرفوا أرسل الله عليهم ريحا أهلكت كثيرا
(29 – ب) منهم . ثم بعد وصولهم / لبلادهم حدث بهم من الضر ما أفنى

---

1) كانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجالة فيما حدث به ابن خلدون عن ابيه عن أبيه . ابن خلدون 6 : 668 .

2) يسميه ابن خلدون سنلويس بن لويس . راجعه 6 : 665 .

3) راجع ابن خلدون 6 : 670 .

4) لقد أجمل ابن القنفذ أخبار حملة الإفرنج على تونس محيلا على الكتاب المتوكلي .. وأطنب فيها ابن خلدون . وأهملها الزركشي . وخصها الشماع بفصل كامل . راجع الزركشي 131 وابن خلدون 6 : 663–671 .

جميعهم . وكانوا يتحدثون بما رأوا من نجدة أهل أفريقية ، وكثرة أمدادها وقوة جهادها (1) . مع أن السلطان — رحمه الله — لم يخرج الى قتالهم ولا باشره . وكان ملازما لبابه ألف فارس من الشجعان يقفون عند باب العدو ، الى ان رحل النصارى عن تونس .

وفي أثناء اقامتهم كانت بينهم وبين المسلمين زحوف استشهد فيها من سبقت له من الله الحسنى . ومات في القتال خلق كثير من عظماء النصارى ، ومن سائرهم — ختم الله لهم بالشقاوة .

وكان نزولهم على تونس سببا في اتلاف الاموال التي تركها المولى أبو زكريا — رحمه الله وغيرها مما جعله السلطان بعد وفاته ، لان جميع الارزاق للاجناد والاعراب والوفود كلها من بيت المال لانقطاع السبل وأسباب المعاش . وكان ذلك كله ابتلاء / للمؤمنين وتمحيصا (2) قال الله تعالى « وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » (3) (30 — أ)

الفصل الخامس

في ذكر وفاة المولى ابي عبد الله المنتصر

توفي — رحمه‌الله — من مرض أصابه ليلة الاحد الحادي عشر (4) من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة (5)

---

1) في الأصل : وقوة جهدها .
2) في الأصل : تمويصا ولعله غلط من الناسخ .
3) الأنبياء ، 35 .
4) في الأصل الحادي والعشرين وهو خلاف المصادر .
5) أهمل ابن خلدون تأريخ الوفاة وذكره ابن القنفذ والزركشي . 6 : 675 ، 134 ، 40 .

(675 / 16 ماى 1277) وهو ابن خمسين سنة . فكانت ولايته ثمانية وعشرين عاما عاما وخمسة أشهر واحدى عشر يوما — رحمه الله وغفر له بمنه وكرمه (1)

[4 — المولى ابو زكرياء يحيى الواثق]

المولى ابو زكريا يحيى الواثق بالله ، عرف المخلوع ابن المولى ابي عبد الله محمد المنتصر .

[الفصل الأول

بيعة المولى ابي زكريا يحيى الواثق]

بويع صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده . أمه أمّ ولد ، اسمها : طرفه (2) .

[الفصل الثاني

في خصاله والالمام باعماله]

ولما ولي سرح اهل السجون ، وأمر برفع المظالم واحراق أزمة المودات ، وأمر (بالشروع) (3) في بناء جامع الزيتونة — شرفه الله / بذكره — وغيره من المساجد . وأحسن الى الجند (30 — ب) بأحسن ما يكون . الا أنه غير ناهض باعباء الملك ، وغلب على أمره : علي بن احمد الغافقي المعروف بالخير . وكان الخير

---

1) أنظر ابن خلدون في الاشادة بدولته . 6 : 675—676 .
2) في الزركشي : أمه أم ولد اسمها ضرب . راجعه ، 41 .
3) في الأصل : كلمة غير واضحة .

كثير الاعجاب بنفسه ، مفرط التعسف مشتغلا بأمور غير مفيدة كالبناء ، وأنواع الملابس ، واقتناء الاثاث (1) لا يحسن شيء من سياسة الملك ، ولا من سياسة الرعية ، فأدى ذلك الى اتلاف المال .

[الفصل الثالث

في تخلي المولى ابي زكريا يحيى الواثق عن الملك)]

وفي غرة ربيع الثاني (2) من عام ثمانية وسبعين (678 / 11 أوت 1279) خلع نفسه ، وسلم الامر لعمه المولى ابي اسحاق ابراهيم بايع له – رحمه الله – وخرج من القصبة . وسكن بدار الغورى . فكانت مدته عامين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (3) – رحمه الله – امين .

[5 – أبو اسحاق ابراهيم]

[الفصل الاول

في بيعة المولى ابي اسحاق ابراهيم)]

المولى أمير المؤمنين أبو اسحاق ابراهيم بويع له – رحمه الله – بحضرة تونس بغرة ربيع / الاخر عام (31 – أ) ثمانية وسبعين وستمائة (678 / 11 أوت 1279)

1) في الأصل : وابتناء الأثاث والإصلاح من الزركشي . أنظره ، 42 .
2) النقل عن ابن خلدون . وما في ابن القنفذ والزركشي أن الخلع وقع يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الثاني من نفس السنة . ابن خلدون 6 : 680 ، ابن القنفذ ، 137 ، الزركشي ، 42 .
3) في ابن القنفذ والزركشي : عشرين يوما . نفس الصفحات .

الفصل الثاني

في ذكر سيره وما كان في أيامه من الحوادث

ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة . وكان مقيما ببلاد الاندلس — كما سبق — وله فيها مواقف مشهورة مع عدو الدين وكان اخوه المولى المنتصر يرسل الهدايا الضخمة لملك الاندلس ليمسكه عنه . فلما مات ولي ولده . ولم يكن لمن بين يديه معرفة بهذا الامر (1) ، فجاز المولى ابو اسحاق ابراهيم الى المغرب وجال فيه ، ثم قصد افريقية وملكها . وكان — رحمه الله ملكا شجاعا هماما . وكانت فيه غلظة . وكان يغيب عن مجلسه لأنسه . وكان ولده ابو زكريا يرد عليه كثيرا من أموره بتلطفه وكان المولى ابو اسحاق يطيعه ويرجع إليه .

وملك — رحمه الله — جميع بلاد افريقيه ودانت له . وكان اتى اليه ان المخلوع يريد « الثورة وانه داخل في ذلك بعض رؤساء النصارى » (2) (فأقلق السلطان مكان ترشيحه) (3)
(31 — ب) فاعتقله بمكان اعتقال بيت / القصبة أيام أخيه المنتصر . واعتقل معه ثلاثة من أولاده : الفضل والطاهر والطيب . وفي بعض ليالي صفر من عام تسعة وسبعين (679 / جوان 1280) قضوا نحبهم .

وفي عام ثمانين وستمائة (680 / 81 — 1282) خرج المولى عبد الواحد ولد المولى الخليفة ابي اسحاق بعسكر لاخذ مال هوارة وجباية الوطن . فلما كان بالقيروان بلغه أن عمر بن

---

1) في الأصل : ولم يكن ولي لمن بين يديه معرفة بهذا الأمر .
2) الفقرة منقولة حرفيا عن ابن خلدون 6 : 582 .
3) غير واضحة في الأصل . منقولة عن ابن خلدون . نفس الصفحة .

صابر الرحاني معه قائم يدعى الفضل ابن الواثق . فكتب بذلك الى ابيه .

[الفصل الثالث]

في أخبار المولى مع الدعي

وفي سنة احدى وثمانين (681 / 82 — 1283) دخل هذا الدعي (1) مدينة قابس وملكها واحتوى (2) عليها ، وعلى كثير من بلاد افريقية . فاخرج له الخليفة جيشا من تونس امر عليه المولى ابا زكريا . ونزل القيروان وجبى الاموال ، ثم توجه الى الدعي ، ونزل نحوه والناس في كل يوم ينسلون عنه للدعي حتى لم يبق معه الا القليل . ثم خرج المولى ابو اسحاق في شوال من السنة المذكورة (جانفي 1283) بجيش عظيم ، ونزل / (32 — أ) بالمحمدية ، وأخرج من الدروع والجواشن والسيوف المحلاة ما حمل على سبعين بغلة ، وأخرج من الدرق اللمطية والقسي الدمشقية ما حمل على اعداد من الابل (3) .

فكانت الدولة آذنت بالانصرام فلم يغن شيء من ذلك ؟ وفر كثير من جيشه للدعي . وذهب جميع ما كان مع السلطان — رحمه الله — بمنزل المحمدية .

---

1) هو احمد بن مرزوق بن ابي عمارة من بيوتات بجاية الطارئين عليها من المسيلة ، ولشأ ببجاية ... وكان يحدث لفسه بالملك ... نزل على دباب وصحب بينهم الفتى نصير مولى الواثق بن المستنصر ، وتلقب نوبر . ولما رآه تبين فيه شبها من الفضل ابن الواثق فطفق يبكي ويقبل قدميه . فقال له ابن أبي عمارة : ما شانك ؟ فقص عليه الخبر فقال له : صدقني في هذه الدعوى وأنا أثيرك من قاتلهم » ابن خلدون 6 : 689—690 ، الزركشي ، 46—47 ، ابن القنفذ ، 143—144 .

2) زحف الى قابس في رجب سنة 681/1283 فبايع له عبد الملك بن مكي . مكي ابن خلدون 6 ; 690 ، ابن القنفذ ، 141 ، الزركشي ، 45 .

3) نقل حرفي عن ابن القنفذ ، 142 .

ورجع ونزل السبخة الى ان اخرج نساءه وأولاده من القصبة . ورحل عن تونس مغربا في السادس والعشرين (1) من شوال المذكور (27 جانفي 1283) فاجتاز بقسنطينة . فاغلقها في وجهه صاحبها عبد الله بن ابي بيان خوفا من الدعي . وأنزل لهم من السور الخبز والتمر ، ولم يعرض لهم بسوء ، فمضى الى بجاية ، فلقيه المولى ابو فارس . وكان ولاه بجاية . فلقى ولده المولى المذكور . فخلع السلطان نفسه من الخلافة .
(32 — ب) وبايع المولى ولده / عبد العزيز . وكان سنه يوم خلع نفسه خمسين سنة .

وتلقب ولده ابو فارس بالمعتمد على الله . وجهزت الجيوش وخرج للقاء الدعي ، وترك والده مقيما ببجاية ، والتقى هو والدعي بوطاية قلعة سنان وخانت أنصار المعتمد ، فأخذ وقتل ، ونهبت مضاربه ، وخزائنه ، وسبق رأسه الى الدعي . ثم قتل الدعي اخوته رحمهم الله تعالى .

ولما وصل الخبر بالموافقة الى بجاية (2) خاف المولى ابو اسحاق على نفسه . فخرج قاصدا المغرب ومعه ولده المولى ابو زكرياء .

[الفصل الرابع
في وفاة المولى ابي اسحاق ابراهيم]

فخرج بعض اهل بجاية في طلبه فادرك في بني غبرين ، وقد سقط عن فرسه ، وتألم فخذه ، وجعل في دار ببجاية الى

---

1) في الأصل في سادس عشرين ولعله غلط من الناسخ ...
2) أورد ابن خلدون تفاصيل أكثر عن الحادثة أنظره 6 : 694 وكذلك الزركشي ، 48—49 .

ان ارسل له الدعي من قتله مظلوما — رحمه الله وغفر له — في تاسع عشر من الربيع الاول عام اثنين وثمانين وستمائة (682 / 17 جوان 1283) ونجا ولده / أبو زكريا الى المغرب . وكانت مدة أبي اسحاق بتونس الى ان خرج عنها ثلاثة أعوام وستة أشهر (33 — أ) وعشرين يوما .

[احمد بن مرزوق المسيلي]

الدعي احمد بن مرزوق المسيلي بويع بتونس في سابع عشر من شوال من عام احدى وثمانين وستمائة (18/681 جانفي 1283) . ومولده بالمسيلة وربي ببجاية . وكان في حال النشأة كثير التطور . ومن تطوره وفجوره انتسابه الى غير نسبه . وخطب له بذلك على جميع منابر افريقية . وجازت مغالطته على جميع الناس الا القليل ممن تحقق عنده موت الفضل بن الواثق ، الاانه خاف على نفسه ، وكان سفاكا للدماء ، ظالما خسيسا بخيلا فاجرا كذابا مخالفا للوعد ، بعيدا عن خصال ابناء الملوك . لم تكن منه منفعة الا انه رفع النزول على اهل تونس ، وكانوا يلقون منه أمرا عظيما ، وبنى جامعا للخطبة (2) .وكان محترفا بحرفة الخياطة ، وكان يحدث / نفسه بالملك لما كان العارفون يخبرونه (33 — ب) بذلك ، وكان هو يخيط بيده . ولحق صحراء سجلماسة ، واختلط بعرب المعقل ، وانتمى الى اهل بيت النبيء . وادعى انه الفاطمي ، وانه يحيل المعادن الى ذهب بالصناعة ، فبقي كذلك الى ان فضحه العرب . فبقي يتقلب في الارض الى ان

---

1) كما في ابن القنفذ ، 143 . أما الزركشي فانه يجعل قتل أبي اسحاق في السابع والعشرين من نفس الشهر الزركشي ، 49 .

2) المسمى الآن بجامع الزرارعية . يوجد بنهج المنجي سليم بتونس العاصمة . أقيمت فيه الصلاة في العشرين من شعبان سنة 681/82—1283 . ابن القنفذ ، 144 ، الزركشي ، 47—48 .

وصل الى جهه طرابلس ونزل على دباب ، وصحب الفتى نصير مولى الواثق بن المنتصر . (وتلقب نوبي) (1) فلما رآه تبين فيه شبها من الفضل ابن مولاه ، فطفق يبكي ، ويقبل قدميه ، فقال له ابن عمارة : ما شأنك ؟ فقص عليه الخبر . فقال له : « صدقني في هذه الدعوة ، وأنا أشرد من قاتلهم » . فأقبل نصير على أمراء العرب (مناديا بالسرور بابن مولاه حتى خيل عليهم) (2) ثم لبس بملابس علي ابن أبي عمارة نفيا للريب ، فصدقوا واطمأنوا وأتوه ببيعتهم . وقام بأمره برغم / ابن صابر (34 – أ) شيخ (3) دباب ، فكان من أمره ما كان .

وظهر المولى أبو حفص ابن المولى أبي زكريا ، وكان مختفيا في الجبال وفي بادية الاعراب ، والتقت عليه الناس وجاء لتونس وحاصر الدعي حصارا شديدا ، ثم ظهرت سيرته وغربته ، وانكشفت سريرته ، ومقته جنده ، ولما أيقن بالهلاك فر بنفسه الى دار رجل من أهل (4) الاندلس (5) بقرب حمام زرقون ، وعثر عليه بعد فراره بتسعة أيام ، دلت عليه امرأة فاعترف بتدليس اسمه واسم أبيه ، وشهد عليه بذلك بمحضر القاضي ، والناس ثم ضرب اسواطا ، وطيف به على حمار اذنب أسود اللون ، ثم قطع رأسه (6) . فكانت مدته

---

1) خلط في الأصل والاصلاح عن ابن خلدون 6 : 689 .

2) خلط في الأصل والاصلاح عن ابن خلدون 6 : 689–690 .

3) في الأصل : كلمة غير واضحة .

4) في الأصل كلمة غير واضحة .

5) عبر عنه ابن خلدون بقوله : « فعثر عليه بال من مدخل السلطان بدور . بعض السوقة يعرف بأبي القاسم القرمادى فهدمت لحينها » ابن خلدون 6 : 2696

6) يظهر أن ابن الشماع قدم خبر القتل مع أنه متأخر في يوم الثلاثاء الثاني من جمادي الأولى من نفس السنة . أنظر ابن القنفذ، 145، الزركشي، 50 .

بتونس الى ان دخل عليه المولى أبو حفص يوم الاثنين الرابع والعشرين لربيع الاخير (1) عام ثلاثة وثمانين وستمائة (683 / 10 جويلية 1284) عاما ونصف / غير ثلاثة أيام (2) . (34 — ب)

[6 — أبـو حفـص عمـر]

هو المولى ابو حفص عمر بن المولى ابي زكرياء

[الفصـــل الاول
في بيعتـــه]

بويع بتونس يوم الاثنين الرابع والعشرين لربيع المذكور (683 / 10 جويلية 1284) (3) . وكانت ولايته بها بعد صلاة الجمعة (4) آخر يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة (5) (7 فيفري 1285)

الفصـــل الثـــاني
في خصالـه

وكان ملكا مدركا عاقلا فاضلا عارفا كاملا كريما متغاضيا لم يحدث منه عقـوبة لاحد بعد دخوله لتونس على الدعي ، واختفى منه الفقيه الفاضل الرئيس أبو القاسم ابن الشيخ حاجب الدعي . فتوسط فيه أحد الصلحاء فقبل كلامه .

1) أهمل الزركشي هذا التاريخ وذكر من طرف ابن خلدون ، وابن القنفذ ، 6 : 696 ، 145 .
2) في ابن القنفذ كانت مدة ولاية الدعي سنة وثلاثة أشهر غير ثلاثة أيام ، راجعه ، 145 .
3) في ابن القنفذ كانت البيعة يوم الاربعاء السادس والعشرين من جمادى الثانية وفي الزركشي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من نفس الشهر . وهو الأصح لأنه موافق للتقويم . ابن القنفذ 146 ، الزركشي ، 50—51 .
4) في التقويم يوم الاربعاء .
5) في الأصل سنة 642 وهو لا يستقيم . راجع ابن القنفذ 146 .

فقال : « حاجتنا إليه أكثر من حاجته إلينا » (1) وأمنه وخدمه الى أن توفي — رحمه الله — ودفن في جبانة الاشياخ (بالمرسى) (2) وكان له اعتقاد كبير في الصالحين . وكانت أيام المولى أبي حفص أيام هناء وعدل وأمن . وكان يعظم الفقهاء والصالحين ويبرهم (3) .

الفصـــل الثـــالث

فـي وفـاتـه

(35 — أ) ولم يزل على أكمل الحالات / الى ان استوفى مدته ، وأصابه وجعه الذي مات منه في أوائل ذي الحجة (4) من عام أربعة وتسعين وستمائة (694 / أكتوبر 1295) . فهذا ما صح عنه — رحمه الله — وعهد لابنه ابي محمد عبد الله من بعده ، فلم يرضه الموحدون لصغر سنه ، وبلغ ذلك السلطان أبا حفص ، فاستشار في ذلك الشيخ الولي الصالح أبي محمد المرجاني (5) — وكان يعتقد — فأشار عليه بتولية الامير أبي عبد الله أبي عصيدة فقبل إشارته ، وانفذ بذلك عهده . ثم توفي في أواخر الشهر المذكور (6) فكانت مدته احدى عشر عاماً وثمانية أشهر ، وعمره اذ ذاك اثنان وخمسون سنة .

---

1) نفس العبارة التي نقلهـا ابن القنفذ ، 146 .

2) في الأصل كلمة غير واضحة . دفن بالمقبرة المذكورة بالاضافة للشيخ عبد العزيز المهدوي الذي تقدم ذكره الشيوخ : أبو محمد المعروف بابينـا عبد الله ، وأبو علي الحسن الزبيدي . ابن القنفذ ، 146 . وذكر البقية الزركشي فانظره ، 52 .

3) نفس عبارة ابن القنفذ ، 148 .

4) اعتمد الشماع ابن خلدون ونقل عنه نفس العبارة ونفس التاريخ . ابن خلدون 6 : 709 .

5) توفي في أوائل جمادي الأولى سنة 699/99—1300 ودفن بجبل الزلاج . الزركشي ، 54 ، ابن الخوجة ، 70 .

6) الوفـاة هي يوم الجمعة بالنسبة للزركشي وليلة الجمعة بالنسبة لابن القنفذ مع اتفاقهمـا في الرابع والعشرين من ذي الحجة . ابن القنفذ ، 151 ، الزركشي ، 53 — وحسب التقويم يوم الأحد .

[7 – المولى أبو عبد الله ابن عصيدة]

بويع يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربعة وتسعين وستمائة (694 / 4 نوفمبر 1295) . وكان الواثق بن المنتصر لما قتل هو وبنوه – كما تقدم فرت احدى جواريه وقد اشتملت / على حمل منه الى رباط هذا الولي ووضعته في بيته (35 – ب) فسماه الشيخ عنه وأطعم الشيخ يومئذ الفقراء عصيدة الحنطة . فتلقب بأبي عصيدة الى آخر الدهر . وبقيت له مع الولي المذكور ذمة أقسم (1) كل واحد منهما على الوفاء بها . فلما استشاره المولى أبو حفص في شأن العهد أشار له عليه .

وأيام المولى أبي عبد الله أيام هدنة وعافية وسلم لا حرب ، غرست فيها الغراسات ، وبنيت بها الابراج ، وامتدت الآمال كل ذلك ببركة الولي أبي عبد الله محمد المرجاني – رحمه الله – وتلقب السلطان المذكور بالمنتصر بالله . وقتل المولى الأمير أبا عبد الله ابن المولى ابي حفص (لا مكان) (2) ترشحه من الولاية ، ولم يزل في المهادنة والعافية الى آخر مدته . فطرقه مرض الاستسقاء ، ران عليه الى ان مات به في عاشر ربيع الاخر (3) (36 – أ) من عام / تسعة وسبعمائة (709 / 27 سبتمبر 1308) وكانت مدة ولايته اربعة عشر عاما وثلاثة أشهر وستة عشر يوما (4) ولم يخلف أبناء .

[8 – المولى أبو يحيى أبو بكر]

وكان في قصره سبط من أعقاب جده المولى أبي زكرياء ، وربي تحت كنفه ، وهو الامير أبو يحيى أبو بكر . ويعرف

---

1) في الأصل : كلمة غير واضحة .
2) في الأصل كلمة غير مفهومة . وفي ابن خلدون لمكان ، راجعه 6 : 710 .
3) في الزركشي الثالث عشر . أنظره ، 58 .
4) في الزركشي سبعة عشر عاما . نفس الصفحة .

بالشهيد ابن المولى الامير عبد الرحمان ابن الامير أبي بكر ابن المولى أبي زكرياء . فصدر للملك وبويع يوم مات المولى أبو عبد الله المذكور . فأقام بالقصبة ثمانية أيام وتحرك (1) عليه المولى أبو البقاء خالد من بلاده قسنطينة ، فخرج المولى ابو يحى الشهيد (في) (2) محلته يوم الاربعاء السابع عشر (3) من الشهر المذكور (اكتوبر 1309) ، والتقى مع المولى أبي البقاء بعد ثمانية أيام من يوم خروجه بمحلته . وهزم جيشه ورجع الى القصبة ، وأصبح يجمع من الناس ووقف بالسبخة ، وظن أن من بقي من الاجناد يقفون معه . فخرج ووقف عند الاقواس (36 – ب) يسيرا ، ثم انصرف . فقبض عليه / في ساعته وقتل فكانت مدته سته عشر يوما (4) . وبايع الناس المولى أبا البقاء بعد موته .

[9 – المولى ابو البقاء خالد]

المولى أبو البقاء خالد ابن المولى أبي زكرياء ابن المولى ابن اسحاق ابن المولى ابي زكرياء ، وهو صاحب بجاية وقسنطينة بعد موت والده أبي زكرياء . وكان يضع تاج الملك على رأسه ، ويركب بغلة عالية ، وعلى هذه الصفة كان يوم دخوله قسنطينة محل ابن الامير حين خالفه بها .

ولما ملك السلطان أبو البقاء خالد تونس (5) ، عكف على لهوه ، ولذاته ، وترك الجنود ، وسياسة الملك . وكان الامير ابو يحيى زكرياء ابن الشيخ ابي العباس أحمد بن الشيخ ابي

---

1) في الأصل : وحرك .
2) كلمة ساقطة من الأصل .
3) في الأصل السابع والعشرين والإصلاح من ابن القنفذ لأنه بويع في العاشرة ولم يمكث بالقصبة سوى ثمانية أيام ، ابن القنفذ ، 154 .
4) راجع التفاصيل التي ذكرها ابن خلدون 6 : 733–734 .
5) بويع في السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني من عام تسعة وسبعمائة . ولقب بالناصر لدين الله . ابن القنفذ 156 ، الزركشي ، 60 .

عبد الله محمد عرف اللحياني ابن المولى ابي محمد عبد الواحد . وقد بويع بطرابلس حين قفل من الشرق ، ورأى اضطراب الاحوال بافريقية . فتوجه الى تونس / وبعث في مقدمة أولاد (37 — أ)
أبي الليل مع شيخ دولته ابي عبد الله محمد المزديوي . فوصلوا لتونس في ثاني جمادى الأولى من عام احدى عشر وسبعمائة (711 / 16 سبتمبر) .

فعمد (1) القاضي ابو اسحاق بن عبد الرفيع (2) للسلطان أبي البقاء فصرفه وعرض عليه (3) الدفاع عن سلطانه ، فكره البقاء (4) ، واعتذر بالمرض ، واشهد بالانخلاع من الامور وحل البيعة . فدخل أبو عبد الله المزديوي لقصبته ، واستوثق من المولى ابي البقاء الى ان قتل بعد ذلك (5) وبايع الناس المولى ابا يحيى

[10 — المولى ابو يحيى زكرياء بن اللحياني (6)]

المولى ابو يحيى زكرياء اللحياني (بويع) (7) في ثاني جمادى المذكور . ثم وصل بعد ذلك للمحمدية في ثاني رجب من العام المذكور فجددت له البيعة هناك ، ودخل لرأس الطابية ، وعرض الجيش ، واسقط منه

---

1) في الأصل : فعد ولعله غلط من الناسخ .
2) هو أبو اسحاق ابراهيم بن حسن ابن عبدالرفيع . قاضي الجماعة بتونس وإمام وخطيب الجامع الأعظم « جامع الزيتونة » توفي سنة 1332/733 الأبي 3 : 29 ، 428 ، الزركشي ، 62 ، السراج 1 : 593 ، المموري : جامع الزيتونة 59 ، 61 .
3) في الأصل : وعرضه على الدفاع على سلطانه .
4) ابن خلدون 6 : 742 ، الزركشي ، 61 .
5) كانت دولة السلطان خالد بتونس عامين وثلاثة أشهر وتوفي بتونس احدى عشره وسبعمائة ، ابن القنفذ ، 160 ، الزركشي ، 61 .
6) أبو يحيى زكرياء ابن ابي العباس احمد بن ابي عبد الله محمد اللحياني ابن أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص . ولد سنة 1253/651 . أمه أم ولد أصلها رومية اسمها محرم نفس المصدر ، 62 .
7) كلمة ساقطة من الأصل

(37 ـ ب) من لم يكن ثابتا . ثم دخل تونس / ، واستبد بالملك (1) ، فكانت مدة المولى خالد بتونس من يوم بويع الى ان خلع نفسه عامين وستة أيام (2). وكان المولى أبو يحيى اللحياني له مشاركة في العلم والأدب . وكان قد طعن في السن ، وكبر وساس الامور ، وجربها ، فلما رأى استفحال صاحب الثغور الغربية ، وهو المولى ابو يحيى أبو بكر — وعلم انه لا يقدر على مقاومته ، اضطربت عليه افريقية فاعتزم على التحول (3) عنها بجميع الاموال والذخائر وباع ما كان بقصر الملك ، مما يحضره من الاواني والفروش وغير ذلك ، حتى الكتب التي كان المولى أبو زكرياء جمعها أخرجها للوراقين وبيعت بدكاكينهم ، وجمع من ذلك قناطر من الذهب تجاوز العشرين وجولقين بحصا الدر والياقوت (4) . وخرج بذلك من تونس الى قابس ، ورأى
(38 ـ أ) أنه لايريد مشارفة الاوطـــان . واستخلف بتونس / الشيخ أبا الحسن بن وانودين . ونهض المولى أبو بكر الى الحضرة وشارفها فبعث الى (5) خليفة الأمير أبي يحيى اللحياني يعلمه بتوجه المولى ابي بكر للحضرة ، فاعتذر بأنه مشتغل بما قبله من الأحوال ، فأطلق يده في الجيش والمال ، فاركب ابن وانودين فاستلحق وضاع بالأمر .

وكان الأمير أبو عبد الله محمد أبو ضربة اللحياني مسجونا على يد قاضي الوقت (6) ، بسبب جناية ، فاطلق من السجن ، ونصب بالحضرة ، وخرجوا للقاء المولى أبي بكر .

---

1) انظر ابن القنفذ ، 160 ، الزركشي ، 62 .
2) في الزركشي « ثلاثة أيام » انظره ، 61 .
3) في الأصل : التعويض .
4) النص منقول حرفيا عن ابن خلدون 6 : 749 . ونقله الزركشي كذلك 63 .
5) كلمة ساقطة من الأصل .
6) ابن عبد الرفيع . انظر الزركشي ، 62 ؛ المعموري 59 ، 60 .

وكان حمزة بن عمر بن أبي الليل من بطانة اللحياني ، فدس الى أخيه مولاهم وهو مع المولى أبي بكر أن يحفل بالعسكر فأجفل السلطان من مقامه بروض السناجرة لسبعة أيام من احتلاله قبل أن يستكمل البيعة ، وارتحل الى قسنطينة ، ورجع عنهم مولاهم من تخوم وطنها ، ودخل أبو ضربة اللحياني ومن معه / تونس في منتصف شعبان من سنة سبعة (38 — ب)
عشر وسبعمائة (717 / 24 أكتوبر 1317) وبويع بالحضرة ولقب المنتصر . ثم أعاد المولى أبو بكر الحركة على تونس ، ودخلها بعد قتال في ثامن عشر من ربيع الأخير عام ثمانية عشر وسبعمائة (718 / 19 جوان 1318) .

[11 — المولى ابو يحيى أبو بكر (1)]

المولى أبو يحيى أبو بكر ابن المولى أبي زكرياء ابن المولى ابي اسحاق ابن المولى أبي زكرياء .

لما دخل تونس ، وبويع بها في الثامن عشر لربيع الاخير من العام المذكور (718 / 19 جوان 1318) ، خرج أبو ضربة هاربا فخرج المولى أبو بكر في اتباعه في شعبان من العام المذكور ففل جموعه وارتحل في فله منهزما الى المهدية ، فامتنع بها وكان بها مقيما على دعوة أبيه . وبلغ خبر هزيمته الى ابيه وهو بعسكره بطرابلس ، فاضطرب وبعث للنصارى في أسطول يحمله الى الاسكندرية فوافوه بستة أساطيل . فاحتمل بها ماله وأهله وولده وسافر / الى الاسكندرية ، فنزل بها على السلطان (39 — أ)

1) هو أبو بكر بن أبي زكرياء يحيى بن أبي اسحاق ابراهيم ابن أبي زكرياء يحيى ابن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص . ولد بقسنطينة في شهر شعبان من 1293/692 وكانت أمه أم ولد رومية اسمها املح الناس . الزركشي ، 66 .

محمد بن قلاون (1) من ملوك الترك بمصر والشام . فاستقدمه الى مصر ، وعظم من مقدمه واهتز للقائه ... (2) من حرابة وأقام عنده الى ان هلك سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (3) (728 / 1328) . ورجع المولى أبو بكر بعد أن هزم أبا ضربة ومن معه الى تونس ، فدخلها في شوال من سنة (718 / 1318 واستقامت افريقية على طاعته ما عدا المهدية ، وطرابلس فكانت مدة السلطان أبي محمد اللحياني بتونس من يوم بويع الى ان بويع ولده ستة أعوام وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما وكانت مدة ولده أبي ضربة بتونس من لدن بويع الى ان فر عنها وهو ثامن عشر من ربيع الأخير من العام المذكور (718 / جوان 1318) ثمانية أشهر وثلاثة أيام .

واقتعد المولى أبو يحيى أبو بكر كرسي الخلافة بتونس (39 – ب) – رحمه الله – / ونبين دولته في فصول :

الفصل الاول

في ذكر صفاته وذكر خلاله الحميدة

كان رحمه الله – جميل الصورة – ، كامل القامة ، شجاعا . مهابا محسنا ، معتقدا في الفقهاء والصالحين . وكان أشد الملوك حبا وأكبرهم همة . وكان محبوبا عند الخاصة والعامة . وكان لا يكافي من فعل معه سوء الا بالخير (4) .

---

1) هو محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي ابو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية ولي سلطنة مصر والشام سنة 693/1293 وتوفي سنة 741/1341 أنظر الزركشي 7 : 232 .
2) كلمة غير واضحة في الأصل .
3) نقل حرفي عن ابن خلدون 6 : 755 .
4) في الأصل : بخير .

وكان رحمه الله — لا يقع بصره على مسجون الا أطلقه في الحين . وكان لا يولي قاضيا حتى يشهد فيه بالخير من يثق بدينه . وكان قائده ابن الحكيم تعرض للقاضي ابن عبد السلام (1) في بعض أحكامه . فأغلق بابه ، وامتنع من الحكم . فانتبه واستعطف القاضي وقال له : « نطالبك بين يدي الله أن توجد على ولدي حق لا حد وتركته »

وحبه للشرفاء مشهور ، وكان جده المولى أبو اسحاق رتبهم في زمام الموحدين وأثبتهم معهم في العطايا على / أكمل (40 — أ)
وجه ، بعد ما كانوا يأخذون إحسانا عير معين ، ولا محدودا بوقت . فلما ولي أبو بكر حوزهم الرباع ، وملكهم اياها فاقتسموها بينهم .

وكان المولى أبو بكر — رحمه الله — ملك بجاية وقسنطينة لما حل أخوه الأمير أبو البقاء بتونس ، وبويع بقسنطينة ، وتلقب بالمتوكل على الله في ثاني صفر عام احدى عشر وسبعمائة (711 / 20 جوان 1311) .

وكانت بينه وبين عبد الوادي حروب كثيرة ، ووقائع شهيرة . وتحرك لتونس مرات ، وانصرف عنها الى ان عاد اليها في صفر عام ثلاث وثلاثين (733 / أكتوبر 1332) وهي المرة السادسة وأخذ أشياخ العرب وفك رقابهم .

وألقت عصاها واستقر بها النوى
وقد قر عينا بالاياب المسافر

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي . سمع أبا العباس البطرني بن عبد الله بن هارون وابن جماعة تخرج عليه جماعة منهم القاضي بن حيدرة وابن عرفة والرحالة البلوي وأثنى عليه في رحلته كثيرا ابن خلدون . له شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي ، توفي سنة 749/48—1349 . مخلوف ، 210 عدد 731 .

الفصـــل الثـــانـــي

في ذكر الوقائع التي كانت في مدته وما يلتحق بذلك

ففي عام تسعة وثلاثين (739 / 38 — 1339) فتح القائد
(40 — ب) محمد بن حمزة ابن / الحكيم المهدية . وكانت في طاعة اللحياني ، وولده من بعده . وفي عام ثلاثة وأربعين (743 / 42 — 1343) نزل العرب على تونس ، ولم يتخلف منهم أحد ، ثم ارتحلوا بعد سبعة أيام ، ولم يقدروا على شيء . ثم خرج السلطان في أعقابهم فهزمهم هزيمة شنيعةعلى رقادة ورجع الى حضرته .

وفي صفر عام اربعة واربعين (744 / جوان 1343) توفي الفقيه الحاجب أبو القاسم ابن عبد العزيز الغساني ، وتحجب الشيخ أبو محمد بن تافراجين.

وفي شهر جمادى منه أخذ القائد محمد بن الحكيم وعذب بالسياط وعذبت أمه . وذكر أن وزن الذهب الذى أخذ منه خمسون قنطارا غير الفضة وغير الجوهر النفيس والسقط والياقوت ، وأخذت له مائة وستون عتبة ثم قتل بعكوك الرقبة بعد أخذه بشهرين .

الفصل الثالث

(41 — أ) في ذكر وفاته وما يتصل بذلك

كان رحمه الله — في رياضه الكبير بأبي فهر فدخل عليه رسم هلال رجب من عام سبعة وأربعين وسبعمائة (747 / أكتوبر 1346) على عادة قضاة الحضرة في ذلك . فلما رآه قال : « لا اله الا الله ! دخل رجب ! » وجعل يكرر ذلك مرارا ، ثم قام ، وتطهر واخلص لله التوبة ، وأخبر من معه أنه شهر وفاته ، ثم ركب واخترق الاسواق ، وكشف عن وجهه ،

وكان قليل الظهور ، وتصدق بمال جزيل . ثم دخل القصبة ولم تظهر به زيادة ثم حك كتفه فخرجت له حبة صغيرة حمراء أخذته منها الحمى . ثم توفي – رحمه الله – في ثاني يوم الشهر المذكور ، وكان عين ولده أبا العباس للخلافة وقدمه ببلاد الجريد . وعين سائر أولاده قواعد البلاد وبقي بين يديه أبو حفص عمر . فلما توفي والده جلس هو للخلافة ، ولم يلتفت الى عهد أخيه . وكان الشيخ ابن تافراجين هو الذي أشار عليه بذلك .

وكانت تونس قد زهت / في مدة المولى أبي بكر بأهلها ، (41 – ب) وبلغ من قوتها الى أن كان بها أزيد من سبعمائة حانوت للعطارة ، وما يزيد على مائة وعشرين طاحونة . وكان يطحن بها أربعة آلاف قفيز قمحا كل يوم ، ألف تبل وألف تطحن وألف تغربل وألف تصنع : وعند التناهي يقصر المتطاول ، ولما توفي انحلت أبواب الفتن ، وكانت مدته تسعا وعشرين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما – رحمه الله –

[12 – المولى أبو حفص عمر (1)]

المولى أبو حفص عمر ولد المولى أبي يحيى أبي بكر ، بويع يوم مات والده في ثاني رجب وتحجب له حاجب والده أبو محمد عبد الله بن تافراجين (2) وكان اخوه المولى أبو العباس ببلاد الجريد ، فلما بلغه ذلك جمع جنده ، وحشد

---

1) أبو حفص عمر ابن يحيى ابي بكر ابن ابي زكرياء ابن ابي اسحاق ابراهيم ابن ابي زكرياء يحيى ابن أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص . ولد يوم السبت الخامس عشر من جمادي الأولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة أمه أم ولد اسمها حباب ، الزركشي 80 .

2) كان بنوتا فراكين هؤلاء من بيوت الموحدين في تينملل ومن أبت الخمسين . وولي عبد المؤمن كبيرهم عمر بن تافراجين على فاس اول ما ملكها الموحدون سنة أربعين وخمسمائة الى ان فتحوا مراكش ، راجع بقية أخبارهم في ابن خلدون 6 : 794–796 .

العرب ، وزحف الى الحضرة . وخرج المولى عمر للقائه غرة شعبان وارتحل عن تونس في محلته مع الموحدين ، وعامة الجند ، وحاجبه الشيخ أبو محمد المذكور وقد نفر منه ، لان
(42 — أ) بطانة السلطان وشوا به / ، وأوغروا عليه صدر المولى عمر . فاحتال في أسباب النجاة حتى اذا التقى الجمعان رجع الحاجب الى تونس ، في بعض الشغل وركب في الليل ناجيا الى المغرب (1). وقيل انه طلب من السلطان أن يرجع الى الحضرة ليأخذ من المال ما يكمل به حركة من بقي من الأجناد ، فاسعفه بذلك ، وبعث من خدمه من يأمر أمه أن تعطيه ما يقول لها فدخل تونس ، ووصل القصبة ، وأخذ من أم السلطان ما اراد وانصرف الى رياضه فدخله ، وجلس الخدام الذين معه من جهة السلطان في أرحبة . وكان ذلك في العتمة أول ليلة من رمضان . فركب جواده وخرج من الباب الآخر ، متوجها الى المغرب ، واستخلف أهله وأولاده بالمدينة . وطال جلوس الخدام فطلبوا الدخول عليه ، فقيل لهم انه خرج من الباب الآخر وبان امره انه قد هرب (2)
(42 — ب) فانتهبت / مضاربه ، وأخذت أثقاله ، وهرب بخدامه ، وكان السلطان راجعا على عقبه ومضى الى باجة ، ووصل المولى أبو العباس الى تونس فدخلها في تاسع رمضان (3) عام سبعة واربعين وسبعمائة (747 / 25 ديسمبر 1346)

[13 — المولى أبو العباس أحمد (4)]

وحاجبه ابراهيم بن عتو وصلى فيها جمعة واحدة ودخل لرياضه وجلس في القبة السفلى ، حتى أذن للعصر فقام فصلى

1) منقول عن ابن خلدون 6 : 809 راجع كذلك ابن القنفذ ، 169 ، الزركشي ، 81 .
2) اختص ابن الشماع بهذه القصة دون غيره .
3) في ابن خلدون ثامن رمضان ، 6 : 809 .
4) أمه أم ولد اسمها سعد السعود ، الزركشي 81 .

بمن معه فيها ، ودخل لرياضه ، وخرج ابن عتو (1) فجلس على باب الرياض الدخلاني في خارج دار السكة ، والناس يسلمون عليه ويهنئونه (2) . وجلس هناك في غد ذلك اليوم وهو يوم السبت بين يدي الامير عمر يزري به وينشف (3) لحيته لكنه لم يقتله . وبعد سبعة أيام من دخول الأمير أبي العباس رجع لتونس المولى عمر من باجة .

المولى أبو حفص

فلم يرع الناس عند الفجر الا الضجيج فخرج المولى أبو العباس بجهة باب المنارة فقيل له / : « أن الأمير عمر كسر الباب — أي باب قرطاجنة — ودخل منه فمضى على رأسه في أزقة المدينة لا يدري أين يذهب ، فأدركه القائد مسرور عند دار المليان فقتله (4) . (43 — أ)

وقامت العامة على من كان في المدينة من العرب ، وقتلوهم قتلا ذريعا ، فلم يفلت منهم الا القليل . وقبض السلطان على أخويه خالد وعبد العزيز (5) صاحبي سوسة والمهدية ، وكانا تعرضا للامير أبي العباس في الطريق ، وقدما معه لتونس ، فأمر بقطع ايديهما فماتا بسبب ذلك .

وأحدث الامير عمر خطبة سابقة بجامع سيدي يحيى السليماني (6) وكان يقال : « من علامة خراب تونس أن يكون فيها سبع خطب » .

1) راجع ابن خلدون 6 : 811 .
2) فقرة اختص بها ابن الشماع .
3) في الأصل : لنشف .
4) فقرة اختص بها ابن الشماع .
5) انظر ابن خلدون 6 : 810 ، الزركشي 81 .
6) جامع سيدي يحيى السليماني أحدث سنة 1346/747 وهو يوجد بنهج البرج قرب درب ابن عسال بمدينة تونس ، ابن الخوجة ، 184 .

وكان الحاجب ابن تافراجين — لما فرّ الى المغرب وفد الى السلطان أبي الحسن المريني رغبة في ملك افريقية ، واستحثه
(43 — ب) للقدوم عليها . ثم وصل الخبر بموت / ولي العهد ، وأخويه ، وخبر الواقعة فاغضبه ذلك لما كان سبق من رضاه ، وعهده ، وحضه على ذلك بالوفاق في مجلسه ، وذلك أن حاجب المولى ابي العباس — وهو ابو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين — كان مهاجرا (1) عند (2) مولانا السلطان ابي الحسن ، وسأل منه أمضاه (3) لذلك ، وكتب له بذلك بخطه في سجله فاسعفه بذلك ، وكتب خطه ، واحكم عقده (4) . فلما بلغه مهلك ولي العهد تعلل بأن النقض أتى على ما أحكمه . فأجمع على الحركة الى افريقية ، ووفد اليه شيوخ عرب إفريقية يستصرخونه بثأر من قتله (5) منهم الامير عمر فأجابهم وأقبل على افريقية فأخذ بجاية ، وصرف عمالها للمغرب ، وأخبره العرب باجفال الامير عمر ومن معه . وأخذ قسنطينة وصرف عمالها ايضا الى المغرب ، وتحقق فرار (6) الامير عمر ، ومن معه من
(44 — أ) تونس ، وحشده على / اعتراضهم قبل وصولهم بالقفر فسرح معهم العساكر في طلبه لنظر حمو العشري (7) فادركه بالمباركة عند قابس ، فقتلوا حاجبه أحمد بن زيرين ، وجماعة وأخذوه هو والقائد ظافر والسنانير فأدخلوهما الى المباركة في بيت يقال له « بيت التبن » وطلب العرب على رؤيتهما ليعددوا عليهما ما فعل معهم . فخاف حمو العشري أن يهربوا بهما فقطع

---

1) في الأصل : مسافرا .
2) في الأصل : عن .
3) في الأصل : انظاره .
4) الفقرة منقولة عن ابن خلدون 6 : 811 .
5) في الأصل : بثأر من قتل منهم .
6) في الأصل : بفرار ...
7) في الأصل العسري والإصلاح من ابن خلدون 6 : 813 ، الزركشي ، 83 .

رؤوسهما بفاس ، وأخرج لهم الرأسين (1) ، فتأسفوا على مثلهما ، وبعث بالرأسين الى تونس ، وأحضر الشهود ليعاينوا رأس الامير عمر فلم يعرفه أحد منهم لكونه أسود بطول المكث الا الفقيه عمر ابن قاضي الجماعة فانه عرفه بكون احدى ثنيتيه بارزة .

فكان مدة الأمير عمر بتونس من حين بويع الى أن أخرج عنها — وهو يوم الجمعة السادس عشر من / جمادي الاولى (44 — ب) عام ثمانية وأربعين وسبعمائة (748 / 24 أوت 1347) — عشرة أشهر وثلاثة عشر يوما (2) داخلة فيها سبعة أيام — رحمه الله ورضي عنه —

المولى ابو العباس وملك الامير ابي الحسن افريقية

وهو الأمير أبو الحسن علي ابن الأمير أبي سعيد عثمان ، ابن الأمير أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق المريني

ولما دخل افريقية محا رسوم الموحدين ، ولم يبق منهم أحدا بها عدا الامير أبي العباس صاحب بونة ، فانه أبقاه بها ، لأن والده المولى أبا بكر كان قدمه بها ، وكان السلطان أبو الحسن تزوج أخته شقيقته ، وكان الأمير أبو العباس الفضل هو وافدها عليه لفاس ، فعرف (3) له ذمة المصاهرة ، وذمة وفوده عليه بأخته (4) . وبنو مرين هم الذين أخذوا مراكش حضرة الموحدين / من أيديهم ، ومحوا رسومهم ، وصنعوا بافريقية (5) (45 — أ)

1) راجع التفاصيل في ابن خلدون 6 : 813 .
2) في الزركشي خمسة وعشرين يوما ـ راجعه ، 83 .
3) في الأصل قدمي وهو لا يستقيم .
4) ابن خلدون 6 : 815 .
5) في الأصل : وضعوا وهو غلط من الناسخ .

كذلك . حتى أن من يتشيع لهم كانوا يقولون : « يملك (ابن مرين) المشرق ويحج تحت علامته » وابن آدم يدبر والقضاء يضحك .

ولما دخل السلطان ابو الحسن تونس دخلها بجيوش لا تحصى فشرع في بناء (1) مدينة فوق سيجوم سماها المنصورة لسكنى من جاء معه من الجيوش ، فان المدينة لم تسعهم (2) . وبايعه يومها بتونس خمسون سلطانا من ملوك الاندلس ، وبني عبد الوادي والموحدين وعند التناهي يقصر المتطاول .

فلما استوثق له ملك أفريقية أجلى العرب من الاراضي التي ملكوها بالاقطاعات ، وضرب على ايديهم في الاتاوات فشنوا الغارات في جهة افريقية ، وأغاروا في بعض الأيام ، فاستاقوا الظهر الذي كان للسلطان في مراعيه (3) فاسفه فعلهم /، فتحرك عليهم ، فآذنوه بالحرب ، ونصبوا الأمير أحمد بن عثمان بن أبي دبوس من بني عبد المؤمن بعد أن اشتهر بالخياطة بتونس (4) — فدلهم عليه من عرفه . وزحف اليهم السلطان بعساكره من تونس في سنة ثمان وأربعين (47/748—1348) فالتقى معهم بالهنية قرب القيروان . فغلبهم وانجلوا أمامه ، ثم تزايدوا ورجعوا مستميتين وذلك في اليوم الثاني من شهر محرم سنة تسع وأربعين (2/749 أفريل 1348) فاختلت مصافه ، وهزم ودخل القيروان هاربا ، فأخذوا معسكره (5) بما اشتمل

1) كلمة ساقطة من الأصل .
2) لم يبق لهذه المدينة أثر .
3) نقل حرفي عن ابن خلدون 6 : 816 راجع الزركشي 83 .
4) عند ابن خلدون مقامه بتوزر . ابن خلدون 6 : 817 .
5) في الأصل عسكره .

عليه من مال وأثاث وسلاح وكراع ، حتى امتلأت ايديهم من كلّ شيء ، وأخلوا بمخنقه وحاصروه (1) .

وكان الشيخ أبو محمد ابن تافراجين مع السلطان بالقيروان وكان توغر صدره عليه لانه طمع أن يفوض اليه أمور افريقية — كما كان مع المولى أبي بكر — فلم يحصل على غرضه . وكانت / العرب تميل اليه وتحبه ، لما كان يفعل معهم من (46 — أ) الجميل في وقت حجابته . فطلبت العرب من السلطان أبي الحسن أن يخرج اليهم أبا محمد يتكلمون معه في الصلح فاسعفهم لذلك فلما حصل عندهم قلدوه الحجابة لسلطانهم أبي دبوس ، ووجهوه معه لتونس فحاصر قصبتها (2) ، وكان السلطان أبو الحسن (قد) (3) خلف بالقصبة الكثير من حريمه ، وأولاده ، وماله ، ورجاله . فحاصرها الشيخ أبو محمد حصارا شديدا ، ورمى عليها بالمنجنيق من مربض المعلم سعد ، وفي أثناء المدة داخل السلطان أبو الحسن بعض العرب من أولاد مهلهل وغيرهم على أن يفرجوا عنه من الحصار على مال اشترطوه عليه ، فوفوا له ، واسروا به الى سوسة . فصبحها وركب في أساطيله الى تونس ، وسبق / الخبر الى الشيخ ابي محمد فتسلّل (46 — ب) عن أصحابه ، وركب السفن الى الاسكندرية في ربيع سنة تسع وأربعين (749/جوان 1348) . وأصبحوا وقد تفقدوه فاضطربوا واجفلوا عن (4) تونس . وخرج أولياء السلطان من القصبة ، وملكوا تونس ونزل السلطان بها من أسطوله في ربيع الاخير من السنة المذكورة (5) . وانتفضت افريقية

1) نقل حرفي عن ابن خلدون 6 : 818 .
2) نفس المصدر والصفحة .
3) كلمة ساقطة من الأصل .
4) في الأصل : على .
5) لقل متسلسل عن ابن خلدون 6 : 819 ، 820 .

على السلطان أبي الحسن ، واشتد القلق في الطعام فبلغ قفيز القمح ثمانية دنانير كبيرة والشعير على الشطر في ذلك وكثر الوباء . حتى انتهى عدد الاموات الى ألف شخص . ومات جماعة من العلماء والصلحاء منهم :

1) — الشيخ الفقيه القاضي محمد ابن عبد السلام (1)

2) — العابد الزاهد الفقيه الولي سيدي يحيى السليماني (2)

وكان يطلب عليه العلم ببيته ثم شرع في العبادة وتقشف .
(47 — أ) وتحرك / المولى ابو العباس الفضل لتونس من بلاد بونة ، وأطاعه أهل الجريد كلهم وسبب تحركه على السلطان أبي الحسن انه كان عاهده أن يظاهره على ملك افريقية ، ويمكنه من ملك أبيه . فلما تمّ ملك افريقية ضنّ بها عنه ، وأعطاه بلدة بونة خاصة ، فتوغر صدره عليه (3) وتحرك (4) عليه ، وحاصره مرات الى ان كان من أمره ما يذكر بعد . وبلغ السلطان أبا الحسن عن ولده أبي عنان انه استقل على المغرب، ومحا رسوم أبيه ، لانه كان بلغه موته من جماعة بني مرين وبني عبد الوادي حين انكسر أبو الحسن على القيروان ، ورجعوا الى المغرب في الذ ما يسر ، وأخبروا السلطان أبا عنان أن (5) والده توفي ، وعمل رسما شهدوا فيه ، فاستبد السلطان أبو عنان بالملك (6) . ثمّ بلغه أنّ والده حي ، فخاف منه ، فبعث لولاة بجاية
(47 — ب) وقسنطينية من الموحدين الى / بلادهم ، وأخذ عليهم العهود

---

1) أنظر الزركشي ، 88 .

2) أنظر ابن الخوجة : تاريخ معالم التوحيد 184 .

3) راجع ابن القنفذ ، 171 .

4) في الأصل : حرك .

5) كلمة ساقطة من الأصل .

6) بويع في أوع عام تسعة وأربعين وسبعمائة . ابن القنفذ ، 171 .

أن يمنعوا أباه من الجواز الى المغرب (1) ، فلما سدّ الطريق على والده في البر ، ركب البحر في أساطيل ، وحمل فيها أمواله وذخائره وحريمه ورجاله ، وتوجّه الى المغرب أيام الفطر سنة خمسين (750/ديسمبر 1349) ، وخلف بتونس ولده الفضل (2) بعد أن استوثق له من العرب ، وأخذ له ابنة عمر بن حمزة ليأمن عليه ، وتحرك عليه السلطان أبو العباس الفضل على تونس، واستغاث السلطان الفضل ابن السلطان ابي الحسن بأصهاره العرب فأخرجوه الى بيوتهم ، وبلغوه الى مأمنه ، ووصل الخبر عن أجفان الأمير أبي الحسن أنّها انكسرت كلّها أو انكسر أكثرها وغرق جميع ما فيها من الذخائر والناس والركاب . وخرج الأمير أبو الحسن مسلوبا (3) من أملاكه ، وماله في سراويل ، ومعه قدر ثلاثين امرأة / وستّ نسوة الى الجزائر (48 — أ) فطاعت له ، وتحرك منها لتلمسان ، فلم يقدر عليها . ثمّ تحرك على فاس فطارده والده أبو عنان فهزمه ، فلجأ الى جبل سكسكو (4) فحاصره فيه حتى ضاق ذرعه . ففصد نفسه في الذراعين ، وترك دمه يسيل حتى مات في عاشر صفر (5) عام اثنين وخمسين وسبعمائة (6) (8/752 مارس 1351) و بعث لولده أبي عنان بوصية أن يأخذ ثأره من صاحب تلمسان ، فلما مات خرج اليه ولده بهيكل عظيم ، وأظهر الحزن عليه ، وأدخله ، وغسله ، وصلى عليه ، ودفنه (7) فكانت مدّته بافريقية من لدن بويع الى أن خرج منها ولده

---

1) راجع ابن القنفذ ، 172 ، 173 .
2) راجع الزركشي ، 89 .
3) في الأصل عن .
4) في الأصل : سكسكوا .
5) في الزركشي لثلاث وعشرين من ربيع الثاني ، 90 .
6) في الزركشي مرض فافتصد لاجل مرضه ، 90 .
7) أهمل ابن القنفذ خلاف أبي الحسن المريني مع ابنه أبي عنان ، ص 17 .

الفضل ، وهو آخر يوم من ذي الحجة من عام خمسين وسبعمائة (10/750 مارس 1350) عامين وستة أشهر وخمسة عشر يوما — رحمهم الله — (1) .

(48 — ب) [14 — المولى أبو العباس الفضل / (2)]

المولى أبو العباس الفضل ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بويع له في أوّل شهر ذي الحجة من عام خمسين (750/فيفرى 1350) . وكانت له ببلد العنّاب سيرة حسنة . ولما ملك تونس ركن الى الراحة ، واشتغل باللهو واحتوت العرب على دولته ، قال الشاعر

اذا غـدا مـلك بـاللهـو مشتغـلا
فاحكم على ملـكه بالويل (والعطـب) (3)

أمـا تـرى الشمس في الميدان هـابطـة
لـما غدت بيـن بـرج اللهـو والطـرب

وكان حاجبه أبو العباس أحمد بن عتو (4) المعروف بابن عنهقة . وشاركته العرب في الديوان ، وجباية الماشية ، والطعام وأخذوا البر طيل على تقديم الشهود . وزوج أخته لابي الليل بن حمزة المعروف بقتيبة (5) ولم يسبقه أحد من الملوك الى ذلك رجاء أن يطول ملكه . ويأبى الله الا ما يريد !

---

1) اختص ابن الشماع بذكر مدة أبي الحسن المريني دون غيره من المصادر الأخرى .

2) هو الأمير أبو العباس الفضل ابن أبي يحيى أبي بكر ابن زكرياء يحيى ابن ابي اسحاق ابراهيم . أمه أم ولد رومية اسمها : عطف . كانت ولاته في شهر رمضان سنة احدى وعشرين وسبعمائة . الزركشي ، 91 .

3) كلمة ساقطة من الأصل .

4) في الأصل عبو والاصلاح من ابن خلدون لانه الأصل المنقول عنه . ابن خلدون 6 : 826 وغلط فيها الزركشي كذلك . انظره ، 91 .

5) كذا في الزركشي وان كان ابن خلدون يطلق عليه كلمة قتيبة راجعهما 6 : 826 ، 827 ، 91 .

وكان الشيخ أبو محمد بن تافراجين (1) ببلاد المشرق وحج بيت الله وتوجه راجعا الى تونس صحبة شيخ العرب عمر بن حمزة . وكانا تعاهدا / في المشرق الا يتحاربا (2) (49 – أ) فاجتمع عمر باخوته واتفقوا على ادخال الشيخ أبي محمد لتونس . فان شاء السلطان أن يقيم بين يديه والا حبس في داره ينظر في ربعه وماله ويعيش منه . وبعثوا بذلك الى الأمير أبي العباس الفضل . فقال : لا سبيل الى ذلك ! ولا يدخل لي بلدا فبعث له صهره أبو الليل وقال له : هذا أخونا كبيرنا وصل من الحج ، فلعلك أن تصل الينا وتجتمع به ، فخرج هو ومن فيه طيش وجملة من خدامه . فأخذوا السلطان وكل من معه فجردوه وأخذوا بهائمهم (3) . ودخل الشيخ أبو محمد لتونس في ثامن عشر جمادى الأول (4) في عام احدى وخمسين (24/751 جويلية 1350) فكانت مدة الأمير أبي العباس الفضل بتونس خمسة أشهر وخمسة عشر يوما (5) .

[15 – المولى أبو اسحاق ابراهيم ابن المولى أبي بكر]

وأخرج الشيخ أبو محمد بن تافراجين المولى أبا اسحاق (6) ابن المولى أبي / بكر (7) وكان مختفيا في دار من دور الحضرة (49 – ب)

---

1) يسميه ابن خلدون ابن تافركين ، 6 : 826 .
2) راجع ظروف اقامة ابن تافراجين في مصر ابن خلدون 6 : 827 . ونقلها عنه الزركشي 91 .
3) اختص ابن الشماع بهذه الرواية . ويروي ابن خلدون رواية أخرى ينقلها عنه الزركشي ، 6 : 827 ، الزركشي ، 91 . وأهمل ابن القنفذ هذه التفاصيل .
4) في الزركشي ، الحادي عشر في نفس الشهر . نقل عن ابن خلدون ، 92 ، 6 : 827 .
5) في الزركشي اثني عشر يوما ، انظره ، 92 .
6) في الأصل : أبو يحيى وهو غلط .
7) كانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأمه أم ولد اسمها : قرب الرضا . الزركشي ، 92 .

بتونس بعد أن بذل لامه من العهود والمواثيق ما أرضاها به . وأجلسه على كرسي الخلافة وبايعه الناس خاصة وعامة . وهو يومئذ قد ناهز الاحتلام ، وسبق اليه الفضل فاعتقله . وغطّه في جوف الليل بمجلسه حتى قضى ولاذ حاجبه أبو العباس أحمد بن عتو بالاختفاء الى أن عثر عليه بعد ليال من تغيّبه . فامتحن الى أن هلك في الامتحان (1) وقام ابن تافراجين بتدبير الدولة ، وكان له في ذلك باع طويل . وكان الاشياخ يأتون الى رياضة كلّ صباح . وانتهى أمره الى أن يسلم عليه سلام الملوك واستخلص قواعد البلاد من أيدي العرب بأحسن محاولة . فقال لاشياخهم :

« انتم لا بد لكم من وكيل ينوب عنكم في مجابي بلادكم فانظروا ما تبلغ حاجتكم في كلّ عام فأنا أوفيها / لكم » . (50 — أ)
فاسعفوه بذلك . فاستخلص منهم جميع بلاد قرطاجنّة ، والقيروان ، وسوسة ، وباجة ، وتبرسق والأربس وجعلها بأيدي خدامه وأجرى على الخليفة ما يحتاج اليه من النفقة ، واستبد هو لدفع المجابي الداخلية والخارجية (2) وشرع في بناء السور البراني المحيط بجميع أرباض تونس وحبس عليه نصف خراج الأرض ، ونصف كراء المعاصر ، التي بداخله برسم اصلاح ما يحتاج منه حسبما هو حبس مؤبد (3) . وفي عام خمسة وخمسين (755/54—1355) أخذ السلطان أبو عنان مدينة بجاية من أيدي الموحدين (4) ، ووجه صاحبها الامير أبا عبد الله الى مدينة فاس في ربيع الاخير من عام ستة وخمسين (756/55—1356) . وأخذت النصارى مدينة طرابلس ، وحملوا

1) نقل حرفي عن ابن خلدون وتابعه في هذا الزركشي . أنظرهما ، 828 ، 92 .
2) في الأصل : الداخلة والخارجة .
3) اختص ابن الشماع بهذه المعلومات دون غيره من المصادر .
4) انظر تفاصيل ذلك في ابن خلدون 6 : 831 .

جميع ما فيها لبلادهم ، وسكنوها خمسة أشهر الى أن فكها
من أيديهم / . أبو العباس ابن مكي بخمسين ألف دينار . (50 – ب)
فخرجوا منها وتركوها خالية فدخلها ابن مكي وعمرها (1) .
وفي شهر رجب من عام ثمانية وخمسين (578/جوان 1357)
وصل الخبر الى الأمير بأن أبا عنان توجه الى قسنطينة بعساكره ،
وحلّ بساحتها . ثمّ ان المولى أبا العباس رأى خللا في أهلها
وأحس منهم الغدر ، فخرج بنفسه طوعا ، واجتمع بالأمير
أبي عنان فوجهه ، وخدامه الى المغرب (2) ، وفي ذلك يقول
المولى أبو يحيى زكرياء – رحمه الله تعالى –

تفرقنا كمثل بنات نعش ولاقينا من الايام غيّا
وما زالت بنا الايام حتى تتابعنا كتأليف الثريا

ودخل الأمير أبو عنان الى قسنطينة وملكها . وخرج المولى
أبو اسحاق في محلته من تونس مع العرب أولاد أبي الليل
الى الجريد .

[الحماية المرينية الثانية]

وفي ثامن عشر من شعبان من العام المذكور (6/758 أوت
1357) وصل اسطول المريني / لتونس . فطاردهم الشيخ (51 – أ)
ابو محمد بن تافراجين وهزمهم هزيمة شنيعة ، فتراموا في
البحيرة ، وتلطخوا بحمأتها . ووصل الخبر بأن محلة أبي
عنان واصلة . فركب الشيخ أبو محمد في خدامه وهدأ الناس
وسكنهم الى أن صلوا الجمعة والعصر ، وخرج ملتفا في
خدامه الى المهدية – وكان أعدها لذلك وهيأها للحصار (3)

1) نقلت المعلومات عن ابن خلدون 6 : 836–837 .
2) انظر الزركشي ، 97 .
3) معلومات أختص بها ابن الشماع . أشار الزركشي للمهدية باختصار ، 97 .

فدخل أهل الاسطول الى ثونس ، وهلكوها ، وكتبت البيعة ووصلت للسلطان أبي عنان وهو بقسنطينة وخطب له على جميع منابر افريقية خلاف المهدية وسوسة وتوزر . وبقي الامر على هذا مدة شهر رمضان وشهر شوال . وأظهر المناكر وشرب الخمر في رمضان والسرقة بالليل والحرابة .

ثمّ وصل الخبر – في أول ذي القعدة – أنّ السلطان أبا عنان
(51 – ب) أراد التوجه الى تونس ، فخالف عليه جيشه / فولى الى المغرب فقامت نفرة في المغاربة فنجوا برقابهم الى الاجفان ، فتركوا جميع ما كان لهم . فكانت مدّة أبي عنان بتونس شهرين وتسعة أيام . وعند رجوعه الى المغرب ثقف أربعة وتسعين شيخا من شيوخ بني مرين ، وقتل وزيره ابن ميمون ، وجماعة من وجوه الجند (1) . ثمّ عجلته منيته وتوفي في آخر سنة تسع وخمسين (759/57–1358) وسنّه ثلاثون سنة ومدته بفاس عشر سنين .

[رجوع الدولة الحفصية]

ورجع ابن تافراجين من المهدية ، وجدد البيعة للمولى أبي اسحاق ووجهت له بكر (2) راجعا بحضرته . بعد أن كان متبعا لابي عنان الى نواحي قسنطينة بعد أن سمع برجوعه الى المغرب . فدخل تونس في ظهر يوم الاثنين السادس من شهر ذى الحجّة عام ثمانية وخمسين وسبعمائة (758/20 نوفمبر 1357) .

---

1) انظر الزركشي ، 98 ، ابن القنفذ ، 175 .
2) هكذا في الأصل .

وفي عام ستين وسبعمائة (760/59—1360) أخذت النصارى بلاد الحمامات / ونقلت جميع ما فيها لبلادهم (1)، وأقاموا (52 — أ) بها يومين ينقلون ثمّ انصرفوا عنها . وفي ثامن من شوال من عام واحد وستين (761/11 سبتمبر 1360) توجه المولى أبو اسحاق الى بجاية فأخذها من بني مرين ، وأقام بها الى عام خمسة وستين (765/63—1364) . وفي شهر جمادى الاولى من عام اثنين وسبعين (772/ديسمبر 1370) وظف على أهل تونس كراء شهرين من كلّ دار ، فجاءت الدور نحو سبعة آلاف دار ، واجتمع من ذلك ثلاثون الف دينار اشترى بها دارا للضياف . وارتفع النزول عن تونس (2) .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر من عام ستة وستين (766/21 نوفمبر 1364) قرأ صداق المولى أبي اسحاق على ابنة الشيخ ابن تافراجين بالقبة الكبرى . كتبه الشيخ ابن مرزوق وقرأه الشيخ الفقيه الامام ابن عرفة ، وعدد الصداق اثنا عشر ألف دينار من الذهب / الفين وثلاثون خادما (52 — ب) مولدات وأعجميات . واحتفل لذلك غاية الاحتفال ووضع من الطّعام ما عمّ جميع الناس (3) .

وفي ذلك اليوم نزل بابن تافراجين ما نزل بالنّاس من الطاعون وتوفي في ربيع الاول (4) . وقدم السلطان ولده أبا عبد الله حاجبا مقام أبيه . ولما توفي الشيخ أبو محمد بن تافراجين استقلّ المولى أبو اسحاق بالامر، وكان كمحجور أطلق

---

1) اختص ابن الشماع بهذه المعلومات ، دون غيره من المصادر .

2) اختص ابن الشماع بهذه المعلومات دون غيره من المصادر .

3) اختص ابن الشماع بهذه المعلومات . انظر ابن خلدون .

4) سنة ست وستين ودفن بمدرسته الكائنة بقنطرة ابن ساكن . داخل باب سويقة . يذكر أن هذه المدرسة كائنة الآن بنهج سيدي ابراهيم بتونس العاصمة . الزركشي ، 101 . راجع ابن خلدون 6 : 856 .

يده وصيه . وما كان ولده كما كان والده يسير له ، فاستوحش من ذلك ففر في ثامن عشر شوال هو وولده أبو عبد الله المصري وتوجها الى قسنطينة (1) مع أولاد مهلهل ، وتحدّثوا مع صاحب قسنطينة في الحركة الى تونس . وفي شهر رجب من عام سبعة وستين (767/مارس 1366) جدد الكتب الذي باللازورد في قبة جامع الزيتونة .

[وفـاتـه]

وفي سنة سبعين وسبعمائة (770/68—1369) توفي المولى
(53 — أ) ابو اسحاق / ليلة الثاني عشر من شهر رجب فجأة بعد أن سهر مع اصحابه ونام ، فايقظه الخادم فوجده ميتا (2) — رحمه الله — وكانت مدته بتونس رحمه الله تعالى من لدن بويع الى ان توفي — رحمه الله تعالى — ثمانية عشر عاما (3) غير داخل فيها مدّة السلطان أبي عنان وهي شهران وتسع ليال .

[16 — أبو البقاء خالد]

فنصب ولده الامير أبو البقاء خالد للولاية والخلافة — وهو صبي صغير لم يناهز الحلم — وأخذ له البيعة مولاه منصور (4)

---

1) يظهر أن ابن الشماع لا يميل للحاجب ابن تافراجين لهذا عبر عن موته بقوله : نزل بابن تافراجين ما نزل بالناس من الطاعون وكذلك سكت عن أمان الخليفة لولده وتقليده الحجابة وانزاله مراتب العز ولم يذكر سوى فراره لقسنطينة ، انظر ابن خلدون 6 : 856 ، الزركشي 101—102 .
2) العبارة مأخوذة عن ابن خلدون ونقلها كذلك الزركشي . وعبر ابن القنفذ بقوله « توفي الأمير أبو اسحاق فجأة » . ابن خلدون 6 : 864 . ابن القنفذ ، 176 ، الزركشي ، 104 .
3) عند الزركشي : ثمانية عشر عاما وعشرة أشهر ونصف . انظره ، 104 .
4) أطلق عليه الزركشي جملة : منصور عتيقه من العلوج . وهي مأخوذة عن ابن خلدون لكن المحقق حرفها فجاءت : منصور سريحة من العلوجي. أنظر ابن خلدون 6 : 864 ، الزركشي ، 104 .

وحاجبه أحمد بن ابراهيم المالقي . ووقفا في تدبير الدولة ، ولم يكن للامير خالد معهما تحكم في شيء . ثم ظهر من المالقي سوء تدبير ، وجور على الناس ، وانتهاب لأموالهم ، واهانة الأشراف ببابه / ، ولم تثبت له منقبة مرضية . فنقم الناس عليه (53 — ب) ذلك وطلبوا الراحة منه ونادى من بتونس باختلال أمرهم وفساد وضعهم ، واسخطوا منصور بن حمزة أمير بني كعب بما أطمعوه بسوء تدبيرهم في شركتهم له في الأمر ، ثم بدا لهم فاحفظه ذلك ، وفسدت نياته ، فلحق بالمولى أبي العباس واستحثه على ملك (1) الحضرة ، وحضه على تلافي الامر قبل تلاشيه ، ووجه إليه أهل الجريد بمثل ذلك . وكان الاحق بالامر لشرف نفسه وكرم سجيته ، وحميد سيرته (2) .

وكان المولى أبو العباس لما وجهه السلطان أبو عنان الى المغرب (3) — أنزله بسبته ورتب عليه الحرس ، وهلك السلطان أبو عنان بعد ذلك — قتله وزيره أبو الحسن بن عمر الفودودي (4) ونصب ابنه محمد للامر ، وقام عليه منصور بن سليمان المريني / (54 — أ) من بني عبد الحق فبعث للمولى أبي العباس ، فاستدعاه من سبته ، فوافق في طريقه جواز المولى أبي سالم من الاندلس لطلب ملكه ، فاتصل به المولى أبو العباس ، وظاهره على أمره الى أن استولى على مملكته بالمغرب ، ودخل فاس فراعى للمولى أبي العباس ووعده برده الى بلاده ، فبقي معه الى أن كان من تغلب المولى أبي سالم على تلمسان ما كان ، وتغلب

---

1) في الأصل : بملك .
2) انظر ابن خلدون 6 : 866 .
3) في الأصل : بالمغرب .
4) من الوزراء الذين لعبوا دورا هاما في الدولة المرينية وهو من وزراء السلطان أبي عنان واتهم بقتل أبي عنان ولما تولى السلطان أبو سالم ثار عليه بتادلة فهزمه السلطان وجيء به مكبلا وأحضر أمام السلطان للتقريع . حضر هذا المجلس ابن خلدون ووصفه في تاريخه 7 : 642—644 .

على المغرب الاوسط ، فنزل للمولى أبي العباس على بلاده قسنطينة ، فوفر له ما عهده (1) وسرح المولى أبا عبد الله الى بلاده (2) بجاية ، وارتحلوا من تلمسان في جمادى من سنة إحدى وسبعين (771/ديسمبر 1369) . ودخل المولى أبو العباس بلاده قسنطينة في شهر رمضان من السنة / المذكورة (771/ (54 — ب) أفريل 1370) فبقي فيها الى أن استدعي الى حضرة تونس — كما مر — فنهض اليها وتلقته وجوه افريقية بالطاعة ، وانتهى الى البلد فبقي في ساحته أياما ، يغاديها القتال ويراوحها الى أن تسلقوا الأسوار من رأس الطابية (3) وفر الامير خالد ودخل (4) من باب الجزيرة ، فوجده مغلقا فكسره وكسر أقفاله ، وخرجوا على وجوههم ، فانطلق الجند في أتباعهم فقبض (على الأمير) (5) فاعتقل وقتل المالقي وسيق رأسه الى السلطان بن منصور سريحه (6) فلحق بالمغرب (7) — رحمهم الله — (8) .

[17 — أبو العباس أحمد]

المولى أبو العباس أحمد ، ابن المولى أبي عبد الله محمد ابن المولى أبي يحيى ابن المولى أبي بكر (9) بويع بتونس

1) في الأصل : بما عهده .
2) في الأصل : لبلاده .
3) منقول من ابن خلدون بتصرف . ونقله كذلك الزركشي انظرهما 6 : 867— 105 .
4) في الأصل : ودخلته وهو غلط .
5) في الأصل : فتقبض من حينه .
6) في الأصل ابن سريحة والإصلاح من ابن خلدون 6 : 868 .
7) عبر ابن خلدون عن المكان : برأس طمرة . نفس المصدر والصفحة .
8) اختص ابن الشماع بهذه الرحمة دون غيره . لم يخصص ابن القنفذ للامير خالد سوى أربعة اسطر . ابن القنفذ ، 176 .
9) كانت ولادته بقسنطينة سنة تسع وعشرين وسبعمائة وأمه ولد أم اسمها تشوال . الزركشي ، 106 ، ابن القنفذ ، 177 .

في ثاني عشر من ربيع الأخير (1) من عام اثنين وسبعين وسبعمائة (3 نوفمبر 1370) ووجه بالأمير خالد وأخيه في اسطول / (55 – أ) الى قسنطينة فعصفت بهم الريح فانحرفت السفينة فغرقا (2) . فكانت مدة الأمير خالد – من لدن بويع الى أن دخل عليه المولى أبو العباس – عاما واحدا وتسعة أشهر (3) . وينحصر الكلام على دولة أبي العباس في أربعة فصول :

الفصل الاول

في ذكر صفاته ومختصر وقائعه وما هو من البلاد

كان المولى أبو العباس – رحمه الله – شجاعا دينا عاقلا سمحا متجاوزا مدركا لما خرج من سبتة لقي الأمير أبا سالم معه ثمانية رجال من الاندلس لانه كان خرج مستخفيا ، فطلبه في الوقوف معه . فوقف معه حملة القائد بشير وغيره ، وأعطى السلطان أبا سالم كسوة ملوكية وسيفا عجيبا ليتحد بهما ، وباشر القتال معه ، وظهر من شجاعته ما تعجب منه ، ووصل مع السلطان أبي سالم لتلمسان / وزار الشيخ أبا مدين (4) وعاهد (55 – ب) الله عنده ألا يكافىء من عمل معه سوءا الا بخير .

ولما رجع الى بلده قسنطينة – كما مر – وفى بما عهد اليه . فلم ينل أحدا بمكروه ممن كان فعل معه سوءا وقت استيلاء الامير أبي عنان على قسنطينة . ولما تحرك الى تونس ولى ولده الأمير أبا عبد الله بجاية وولى القائد فارح قصبة قسنطينة ، والقائد بشير قيادة الوطن القبلي ، ثم ولى ولده الأمير أبا اسحاق

---

1) في الثامن عشر من ربيع الأخير حسب ابن القنفذ والزركشي . انظرهما ، 177–106 .

2) انظر ابن خلدون 6 : 868 ، الزركشي ، 106 .

3) عاما واحدا وتسعة أشهر ونصف حسب الزركشي ، نفس المصدر والصفحة .
هو أبو مدين شعيب بن الحسن المغربي الأنصاري توفي سنة 1193/589 .
كحالة 4 : 302 .

4) انظر ابن القنفذ ، 184 .

بعد ذلك قسنطينة لنظر القائد بشير لصغر سنه الى أن توفي القائد بشير سنة ثمان وسبعين ، فاستقل الأمير أبو اسحاق بقسنطينة (1) . ولما ملك المولى أبو العباس افريقية رفع أنواع الفساد وأمن الطرق والبلاد ، وأقام هيكلا جميلا ورتب مجلسا جليلا ، وعقد للمولى أبي يحيى على بجاية . ورعى لابن تافراجين
(56 — أ) حق انحيازه اليه ، فجعله رديفا لاخيه / (2) ثم شغبت العرب على السلطان لانه مسك اعنتهم عن التغلب ، والاستبداد ، وانتزع ما بأيديهم من الأمصار (3) .

وربما وشي الى السلطان أن حاجبه أبا عبد الله ابن تافراجين داخل العرب بالفساد فقبض عليه . وبعث به في البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا الى أن هلك سنة ثمان وسبعين (1377–76/778) (4) .

ثم لم يزل السلطان يحاول أمر العرب الى أن ظفر بهم وقطع دابرهم وافتتح بلاد قفصة ، وعقد عليها لولده المولى أبي بكر ، وأخذ شيوخها من بني العابد ، واستولى على أموالهم ، وافتتح توزر واستولى على ذخائرهم ، وذخائر شيخها ابن يملول (5) ، وعقد عليها لولده المولى المنتصر .

الفصل الثاني
في بعض آثاره الجميلة وحسناته

(56 — ب) فمنها : إقامة القراءة بالاسبوع بالمقصورة غربي جامع / الزيتونة في كل يوم . أوقف على ذلك وقفا مؤبدا (6) ومنها :

1) راجع الزركشي ، 109 .
2) انظر ابن خلدون 6 : 868 .
3) نفس المصدر 6 : 869 .
4) نفس المصدر 6 : 870 ، الزركشي ، 108
5) في الأصل : ابن المولى وهو غلط .
6) راجع ابن القنفذ ، 178 ، الزركشي ، 107

انشاؤه السبالة ببطحاء الشيخ ابن (1) مردوم بداخل باب قرطاجنة . وأوقف عليها أوقافا جليلة ، فعمّ النّفع بها جميع النّاس . ومنها : انشاؤه البرج الكبير شرقي منزل قمرت وأجرى عليه من يقوم في النظر وأجرى عليه ما يكفيه (2) . فكان ذلك في ميزان حسناته . ومنها رفع التضييق على أهل قرطاجنة وقت خروج السلطان الى ذلك (3) المكان (4) . الى غير ذلك من جميع أفعاله (5) رحمه الله تعالى وغفر له .

الفصل الثالث

في ذكر نزول النصارى على المهدية

كان نزولهم في الخامس من شهر شعبان عام اثنين وتسعين (جويلية 1390) في ثمانية محرقات . فوجه إليها السلطان جيشا كثيفا لنظر أخيه المولى أبي يحيى ، ووجه معه ولده المولى أبا فارس عبد العزيز ، فاتّفقت / فيها وقائع (57 – أ)
اغتنم فيها (6) المولى أبو فارس عبد العزيز وكانت له فيها اليد الطولى ، وعلا صيته ونال منها البركة ، فاقام بها النصارى شهرين وعشرة أيام ، وارتحلوا عنها خائبين (7) .

---

1) كلمة ساقطة من الأصل والإصلاح من ابن القنفذ والزركشي . نفس الصفحات .
2) نفس المصادر والصفحات
3) في الأصل : لذلك المكان .
4) نفس المصادر والصفحات .
5) هذه الفقرة منقولة عن ابن القنفذ ونقلها كذلك الزركشي . 178 ، 107 .
6) في الأصل : برايها وهو غير مفهوم .
7) راجع تفاصيل الوقائع في ابن خلدون 6 : 902–905 ، الزركشي ، 112 ، 113 .

الفصل الرابع

في انتفاض قفصة عليه وذكر وفاته رحمه الله بعد ذلك

ففي عام خمسة وتسعين (795/92–1393) خالف من بقفصة وتحرك السلطان اليها وحاصرها مدة طويلة ، ارتحل عنها لخلل وقع في العرب ، ورجع الى الحضرة (1) . وفي يوم الاربعاء الثالث من شعبان من عام ستة وتسعين (796/ 3 جوان 1394) توفي الخليفة – رحمه الله – بتونس بمرض (2) سابق طويل كان به ، تزايد به في أشهر هذا العام . وتوفي وسنه سبع وستون سنة . فكانت مدة ولايته بتونس أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوما (3) وسبق / له بقسنطينة (57 – ب) احدى عشر سنة . وكان – رحمه الله – يقول : ولدت بطالع الأسد والشمش (4) .

[18 – المولى أبو فارس عبد العزيز (5)]

المولى أبو فارس عبد العزيز ، وتشتمل دولته على فصول :

الفصل الاول

في ذكر بيعته وما يحصل بذلك

بويع – رحمه الله – يوم الخميس الرابع من شعبان (796/4 جوان 1394) برضا من الناس خاصتهم وعامتهم . وكان أخوه

1) انظر ابن خلدون 6 : 905–909 .
2) هو وجع النقرس حسب ابن خلدون 6 : 909 .
3) في الزركشي : وثلاثة أشهر ونصف . راجعه ، 114 .
4) الفقرة منقولة بتصرف قليل عن ابن القنفذ ، راجعه ، 188–189 .
5) هو أبو فارس عبد العزيز أن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد ابن ابي يحيى أبي بكر بن أبي يحيى زكرياء ابن أبي اسحاق ابراهيم ابن أبي زكرياء ابن أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص . أمه أم ولد اسمها جوهرة من الحرات المحاميد عرب طرابلس . ولد بقسنطينة سنة ثلاث وستين وسبعمائة . الزركشي 114 .

المولى ، أبو بكر ولي العهد ، فكان عاجزا عن القيام بأمر الخلافة ، وذلك لاشتغاله باللّهو وبما لا يفيد ، فرضي بولاية قسنطينة وارتحل عن تونس (1) .

وأقام المولى أبو فارس عبد العزيز بالأمر . ثم قام و ارتحل ورتب الأحوال ، واستخلص (2) الأموال ، وألف بين إخوته ، واعتضدهم . وكان المولى أبو عبد الله ابن عمه أبي زكرياء يحيى ببلد قسنطينة ، وببلد بونة فظهر منه / خلاف ، فتحرك (58 — أ)
على قسنطينة ووالى عليها الحصار الى أن خرج اليه المولى أبو فارس ، والتقى معه وهزمه هزيمة شنيعة من اتبرسق الى أسويس، ففر منه ، ونجا بنفسه الى بونة ، فترقّب الظلام وركب السفن إلى المغرب (3) ، وبقي هناك الى أن تحرك على تونس فخان به بغله فأخذ ، وقتل ، وسبق برأسه إلى مولانا أبي فارس فأراح الله منه البلاد والعباد (4) .

الفصل الثاني

في ذكر بعض صفاته الحميدة وبعض سيرته

كان — رحمه الله — شجاعا حازما تقيا معتقدا للصالحين من أول نشأته ، موقرا للعلماء مثبتا ، ورعا ، كثير الصدقة فطنا ، ذكيا فصيحا محبا للخير وأهله . فمن فضائله : — رحمه الله — عموم صدقته وصلته لاهل الحرمين الشريفين ، ولعلماء المشرق ، وصلاحه / يوجه لهم بذلك صحبة المركب (58 — ب)

---

1) الزركشي ، 115 .
2) في الأصل : كلمة غير واضحة .
3) الزركشي ، 118 .
4) أطنب الزركشي في ذكر حربه مع أبي فارس عبد العزيز . أنظره ، 123—124

الحجازي عند طلوعه على الدوام والاستمرار .
ومن فضائله : ما وظف لاهل الاندلس من الطعام وغيره ، يوجه لهم ذلك في كل عام اعانة لهم على عدو الدين ومالهم عليه من ممارستهم مع الكفار .

ومن حسناته : خزانة الكتب المشتملة ، على أمهات الدواوين أخرجها من قصره ، وجعل لها مقصورة بموضع بمجنته الهلال من جامع الزيتونة الاعظم ، وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها بالنظر والنسخ بشرط الا يخرج منها شيء من المجنبة ، خشية ضياعها ، وجعل لها قومة يقومون بها في نفضها ، ومناولتها للطلبة ، وردها لمكانها بعد الفراغ منها . ووقف لها وقتا محدودا كل يوم . واوقف عليها وقفا
(59 — أ) مؤبد تصرف فائدته للقومة / بها ، يكفيهم وتصرف بقيتها في ضرورة الكتب (1) .

ومن فضائله : ملازمته لقراء العلم بمجلسه سفرا وحضرا وتواضعه وجلوسه على الحصير حين قراءته للحديث النبوي .

شاهدت ذلك منه — رحمه الله — أيام حضوري مع الوالد . وكانت تصدر منه — حين القراءة — نكت تدل على جودة فهمه ، وقوة ذهنه . وكان هو الذي يستدعي الوالد في كثير الاوقات للقراءة ، ولا سيما حين يرد عليه من يرد من فحول العلماء من الاندلس والمغرب ، وكان مولعا بتمييز الرجال ، وكان يعترف للوالد بأنه حاز قصب السبق .

ومن حسناته : — رحمه الله — قطعه للقبالة التي كانت خارج باب البحر وبناؤه في موضعها موضعا للصلاة ولتدريس
(59 — ب) العلم وقراءة القرآن وسكنى الطلبة ، وأوقف عليها / وقفا

1) كان تأسيسها حسب الزركشي سنة 822 . أنظره ، 125 .

مؤبدا ، يكفيها وجعل فيها سماطا جاريا للمقيمين بها ، والواردين عليها ، فعمرت بذلك بسببه واستمرت عمارتها الى الآن (1) .

ومن حسناته : رحمه الله — أن مهدت السبل وعمرت البلاد وأمنت العباد ، وكان — رحمه الله — مقتصرا في ملبسه ، متحريا في مطعمه ومشربه .

وأخبرني الوالد رحمه الله قال : « استدعاني يوما للصلاة — اعني صلاة الصبح — فغلس وكان — رحمه الله — من عادته أن يصلي الصبح بغلس جماعة ، ويركب في ماربه . فلما فرغنا من صلاة الصبح ، وركب وسار مع جنده قال : فبقيت في مكاني الذى صليت فيه ، وأنا مفكر في اعادة الصلاة ، لانه وقع عنه شك في طلوع الفجر وهل وقعت الصلاة في وقتها أم لا قال : واذا به قد رجع منفردا من جنده الى / أن وصل (60 — أ)
الي فقال لي ؛ « يافقيه أحمد ! ما نصلي بعد هذا اليوم — ان شاء الله — حتى نتبيّن طلوع الفجر ، فكان يعد هذا من مناقبه — رحمه الله — .

وحين أن قطع الخطبة مدحه المولى الوالد — رحمه الله ورضي عنه — بقصيدة أولها : [الوافر]

أيا ذاك الامام ومن اليه ... تناهي العزّ والشرف الخطير
ومن عظمتْ وقائعه وجلّت ... صنائعه فتمّ به السرور
على آساس مجدك في البرايا ... وجدك والتقى نصب السرير (!)
شددت الملك بالتقوى فتمت ... خصال المجد وانتظم النفير

---

1) قدر الزركشي مجباها بعشرة آلاف دينارا ذهبا . أنظره ، 6 1 ، الترجمان 11 — ب .

وشيدت المنابر اذ بنـاهـا بنـو حفص فعـزّ لك النظير
غزوت بنصرة عند الأعادي ظفرت وصرت والله النصير
عقدت العزم في ترك الخطايا فمثلك لا يجار ولا يجـور
واشهدت العبيد بذاك طـرا فلم يضررك حـاسدُ أو كفـور
فوف بما عقدت ولا تماطل فما تدري متى يأتي السفير
(60 – ب) ولا تتبع هوى من لا يبالي بما يؤذيك فالمولى غيـور /
فقد وضح السبيل لمـن أراد وان الحق بذا جنة المسير (ا)
وان الحـقّ لا يعتاض عنـه ولا معْه مثيـل أو نفيـر
حدود الله كـافيـة لـزجـر ومن قد قال : لا تكفي كفور
الى آخر القصيدة وهي ستة وسبعون بيتا .

الـفـصـل الـثـالـث

في ذكر من انتظم في طاعته من الامصار والبلاد
وذكر نزول النصارى جربة

وصل – رحمه الله – في بعض غزواته – الى جبل المياسر القريب من الاسكندرية ، ودفع تلك الجهـات كلهـا ، وأطاع له أهلهـا ، وافتتح مدينة تلمسان ، ووالى مدينة فـاس أو الى قربهـا ، ودوخت تلك البلاد ، ودانت له ، وانتشر صيته شرقـا وغربـا وفي بلاد النصارى . وخافه القـاصي والداني .

وفي مدته نزلت النصارى – دمرهم الله – جزيرة جربة في سابع عشر ذى الحجة من عام خمسة وثلاثين وثمانمائة (15/835 أوت 1432) . وبلغه العلم وهو ببلاد الجريد / فطوى (61 – أ)
المراحل – رحمه الله – وبادر الى الجزيرة فوافاها يوم السادس والعشرين من الشهر المذكور واتفقت فيهـا وقائع حصل ثوابهـا في ميزان حسناته .

ولم يزل يحاول إلى أن خلع النصارى عنها . فرحلوا خائبين واستشهد فيها جماعة من الناس — ختم لهم الله بالسعادة (1) .

الفصـــل الـــرابع

في ذكر بعض مناقب ولده ولي العهـد المولى أبي عبد الله قدّس الله روحه وسرّه

كان — رحمه الله — موصوفا بالعفاف من صغره الى كبره فكان — رحمه الله — محبا في الخير وأهله ، مجبولا على فعله ، مواظبا على افعال البر مثابرا على الجهاد ، أنشأ أساطيل كثيرة أغاربها على أرض العدو وشحنها بالخيل والرجال ، ونكل بهم وحصل ذلك في ميزان حسناته .

وقد نظم الوالد — رحمه الله — قصيدة على حرف الدال عددها تسعة وخمسون بيتا / في الحث على الجهاد قدمها (61 — ب) لمولانا المرحوم .

أولها : [الطويل]

تروح ليالي النصر فينا وتفتدي — بحرمة ذي الجاه العظيم الممجد
وأشرف خلق الله أصلا ومحتدا — وخير نبيء ضمه الحشر والندى
وأشرف مبعوث وأكرم مرسل — وأفضل آت بالهدى والمهتدي
فشد مطايا العزم واقصد محمدا — نبيك يا عبد العزيز بن أحمد
حباك إله العرش سعدا مجددا — ونصرا على مرّ الزمان المجدد

---

1) راجع تفاصيل القضية في الزركشي ، 129—130 .

ويقول فيها مخاطبا المولى أبا عبد الله قدس الله سرّه :

وياعدة التوفيق والفضل والهدى   وخير مليك للزمان مؤيد
تلقب بالمنصور في البأس والندى   وفي الفضل كهف المسلمين محمد
شددت القوى والعزم من خير ملكه   أفديك من بار على البر مسعد
فضوؤك يهوى في انهبوط الى الثرى   وجدك في خير حروف مسعد
أذكرك الله الذي عزّ شأنه   وسلطانه من سيد وابن سيد

الى أن يقول فيها :

وأسألك اللهم ذا الطول آية   من النصر يستولي على كل معتد
(62 — أ) تخص بها عبد العزيز ونجله   وأعوانهم في الحق من كل مهتد/
بحرمة كهف العزّ والمصطفى الذي   رفعت بناه فوق كل مشيد
محمدُ المحمود في كل مشهد   وأصحابه من راكعين وسجد
عليه سلام الله مادامت الدنا   وماذكر الرحمن في كل مسجد

وأنشأ زاوية سيجوم في غاية الحسن والاتقان وعمل فيها جامعا للخطبة ، ودرسا لقراءة العلم ، ورباطا لسكنى طلبة العلم ، وقراءة القرآن ، وأوقف عليها حبسا قويا ، يكفيها وجعل فيها سماطا للمقيمين فيها ، والواردين عليها . فعم النّفع بها ، وعمرت عمارة قوية ، وتمادت عمارتها الى الآن (1) وكان ذلك في ميزان حسناته .

وكان رحمه الله — خالص المحبة في الوالد — رحمه الله — وكان له نعم العون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . جبله الله على فعل الخير والمسارعة اليه .

1) اختص ابن الشماع بذكر هذه الزاوية دون غيره .

ولم يزل مثابرا على ذلك الى أن توفاه الله سعيدا شهيدا ظاهر مدينة طرابلس في شهر رجب الأصب من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة (833/مارس 1430) .

وتولى الوالد — رحمه الله غسله وتكفينه والصلاة عليه / (62 — ب) ونقل — رحمه الله — الى تونس فدفن بتربته بالقرب من دار الشيخ سيدي محرز ابن خلف — نفعنا الله ببركاته — وحزن الوالد لفقده الى أن لحقه في شهر شوال من العام المذكور (833/جوان 1430) .

ولما قدمت على مولانا المرحوم عزاني في الوالد وقال : « علمت انه سيلحق به في أقرب وقت من شدة وجده عليه » جمعهم الله في جنة عدن مع النبي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الفصل الخامس

في ذكر وفاة مولانا المرحوم

كان رحمه الله — تارك اللذات والراحات ، كان رحمه الله مداوما (1) على محاربة العداة ، الى أن توفاه الله على أكمل الحالات ، وهو مسافر بموضع يقال له زنجت وهو مغرب ليلة عيد الاضحى عام سبعة وثلاثين وثمانمائة (17/837 جويلية 1434) بعد أن تطهر ولبس ثيابه . ونقل جسده الى تونس ، فدفن بها حيث دفن والده قدس الله روحهما وغفر لهما . فكانت مدة / ولايته بتونس واحدا واربعين عاما وأربعة أشهر (63 — أ) وسبعة أيام (2) .

---

1) في الأصل كلمة غير واضحة .
2) اتفاق مع الزركشي ، 131 .

[19 – المولى أبـو عبد الله محمد المنتصر بالله
ابن المولى المرحوم أبي عبد الله محمد]

المولى أبو عبد الله محمد المنتصر بالله ابن المولى المرحوم عبد الله محمد بويع له بالخلافة في يوم عيد الاضحى من العام المذكور صبيحة الليلة التي توفي فيها جده – رحمه الله – بمراج ولجة السدرة (1) وجددت له البيعة في حضرة تونس المحروسة يوم التاسع عشر من الشهر المذكور ، وقصد الى الحضرة فدخلهـا في يوم عاشوراء من شهر محرم فاتح عام ثمانية وثلاثين وثمانمـائة . (838/أوت 1434) . ولمـا سلمت عليه قال لي : على وجه التـأنيس « ونعم ! يا ابن حبيبنـا – رحمه الله وغفر له –

وكان رحمه الله – شجاعا كريما عفيفـا محسنـا حليمـا جوادي حوى كثيرا من خصال الخير . ولمـا ولى – رحمه الله – (63 – ب) اخرج مالا كثيرا تصدق به على أهل المدارس والزوايا / وذوى الحاجات والمرضى والمزمنين والارامل والايتام . ووجه مالاً جليلا لاهل جزيرة الاندلس ، تصدق به عليهم على المجاهدين ، وأمر – رحمه الله – ببنـاء زاوية الشيخ الصالح الولي سيدى أحمد بن عروس (2) . وبنى سقاية الماء بداخل باب أبي سعدون وأوقف عليهـا ما يكفيهـا . فكانت من أعظم القربـات . وشرع في بنـاء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلقـة من حاضرة تونس المحروسة لقراءة العلم (3) أثابه الله تعالى ثواب المحسنين .

---

1) راجع الزركشي ، 130 .
2) الموجودة الى الآن بنهج سيدي ابن عروس بالمدينة العتيقة .
3) أسسهـا السلطان محمد المنتصر بالله ابن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس ومات قبل اتمامها في سنة 1435/839 فاتمهـا أخوه السلطان أبو عمرو وعثمان سنة 1437/841 . ابن الخوجة : تاريخ معالم ، 184 ؛ المعموري : جامع الزيتونة ، 90 .

فسافر – رحمه الله – بمحلة كبيرة وجيش كثير فانجلت بين يديه جميع الاعراب والمفسدين ، فوصل مدينة قفصة ، وابتداه مرضه الذي توفي منه فرجع الى تونس ولزمه المرض الى أن توفي – رحمه الله – ليلة الجمعة (1) الثاني والعشرين (2) من شهر صفر من عام تسعة وثلاثين وثمانمائة (16/839 سبتمبر 1435) . فكانت مدة وأيته عاما واحدا وشهرين واحدى عشر يوما / (3) ودفن في تربة ابائه الكرام بجوار دار الشيخ (64 – أ) محرز بن خلف – رحمه الله على جميعهم ورضوانه عليهم .

[20 – مولانا الامام رفيع الشأن أمير المؤمنين أبو عمرو عثمان (4)]

مولانا الامام رفيع الشأن أمير المؤمنين أبو عمرو عثمان ذو المـاثر السنية والأحـوال المرضيـة

بويع – رحمه الله – صبيحة الليلة التي توفي فيها أخوه شقيقه بيعة رضى ، ولم يتخلف عنها أحد ، وسنه حين البيعة سبعة عشر عاما وأربعة أشهر وخمسة عشر يوما .

وله – نصره الله – ماثر حميدة نذكر بعضها مقرونا بـأدلّة شرعية حسبما أشرنا اليه في خطبة هذا الكتاب ، ونطرزها بما يفتح الله به ، ونستحضره من كلام الحكماء نظما ونثرا حسبما نقف عليه مبينا – ان شاء الله تعالى .

---

1) في التقويم يوم الثلاثاء .
2) في الزركشي الثاني عشر . انظره ، 134 .
3) في الزركشي . اثنى عشر يوما . انظره ، 134 .
4) هو أبو عمرو عثمان ابن أبي عبد الله محمد ابن أبي فارس عبد العزيز . أمه أم ولد علجية اسمها ريم . ولد في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثمانمائة . الزركشي ، 134 .

فمن مآثره – رحمه الله – بناء مدرسة في غاية الحسن
(64 – ب) والاتقان بزنقة الشيخ الولي العابد / الصالح سيدي محرز بن خلف – نفعنا الله ببركاته – وجعل فيهـا موضع مسجد للصلاة ، ودرسا لقراءة العلم ، ورباطا لسكنى الطلبة ، وأوقف عليها وقفا يكفي من بها من الغربـاء وغيرهم . وجعل فيها سماطا مستمرا يتصدق كل يوم على المحتاجين ، وجعل فيهـا مـاء للسبيل مستمرا . فكان هذا من أعظم القربات (1) .

أخرج الترمذي من طريق أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبيء – صلى الله عليه وسلم – انه قال : « من بنى مسجدا لله صغيرا أو كبيرا بنى الله له بيتـا في الجنـة » (2) .

ونقل مسلم بن الحجاج – رحمه الله – من حديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – عن النبيء – صلى الله عليه وسلم – قـال : « من بنى مسجدا لله بنى الله له مثله في الجنّة » (3)
(65 – أ) وأخرج مسلم أيضا في صحيحه من طريق أبي هريرة / – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « من نفس

---

3) بناها أبو عمرو عثمان سنة 1440/840 قرب مقام الولي الصالح محرز بن خلف بنيت المدرسة بالدار المعروفة بدار صوله . وقد انقرضت جراياتها في عهد السراج . الزركشي ، 135 ، 136 ، السراج 1 : 1083–1086 ، المموري : جامع الزيتونة 90 .

1) نص الحديث في البخاري هو : حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب أخبرني عمرو أن بكيرا حدثه ان عاصم بن عمر بن قتادة حدثه انه سمع عبيد الله الخولاني أنه سمع عثمان بن عفان يقول : عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – : انكم أكثرتم ، واني سمعت النبيء صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا – قال بكير : حسبت انه قال : يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة . ابن حجر 1 : 455 .

2) حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا الضحاك بن مخلد أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثني أبي عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك فأحبوا أن يدعه على هيئته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له في الجنة مثله ، النووي 5 : 14 .

على مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب الآخرة يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يبتغي فيها علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسون فيه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم من عنده ، ومن بطأ به علمه لم يسرع به نسبة » (1) .

فتأمل هذا الحديث نجده مطابقا لما اشتملت عليه هذه المدرسة من الخيرات ، وما تحصل لبانيها من الثواب ما وعد به في الحديث / النبوي . وقد روى البخارى ومسلم من طريق (65 — ب)
أبي هريرة — رضي الله عنه — قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فخرج فاذا كلب يلهث يأكل التراب من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى قد كان بلغ بي فرجع الى البئر ونزل وملأ خفه ماء ثم مسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . فقالوا يا رسول الله ان لنا في البهائم أجرا . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في كل كبد رطب أجر صدقة » : (2) فهذه السقاية بهذه المدرسة يحصل لمنشئها الثواب الجزيل .

1) الحديث لم يرد في صحيح مسلم بل ورد في أبي داود « آداب » والترمذي « حدود » و « بر » « قرآن » وابن ماجه « مقدمة » ونصه مخالف لما أورده المؤلف . فقد جاء في الترمذي : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربته فرج الله عنه كربته من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة . ابن العربي : 200 .

2) لم يذكر ولسنك هذا الحديث .

ومن مآثره — نصره الله — بناؤه زاوية بعين الزميت في موضع قفر مخوف على طريق المسافر من تونس مغربا .
(66 — أ) وجعل فيها جامعا للصلاة / ودرسا لقراءة العلم ، ورباطا للقاطنين بها ، وسماطا قويا جاريا على مر الأيام للمقيمين بها ، والوافدين عليها . ووقف عليها وقفا كافيا مؤبدا — أثابه الله — والاحاديث السابقة التي سردت (1) في المسألة التي قبل هذه يتقرر (2) معناها . وقد روى البزار (3) في مسنده والطبراني في معجمه (4) من طريق أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخلق كلهم عيال الله فقراء اليه فاحب الخلق اليه أنفعهم لعياله وهو الذي يعولهم » .

شعــر : [الطويـل]

ثناء الفتى يبقى ويفنى بـدوره فلاتكسبن بالمال شيئا سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما وذكر عطاياهم جديد الى الحشر

من مآثره — نصره الله — اخراجه لخزانة الكتب التي بقصره المشتملة على أمهات الدواوين والمعدومة المثال ، وجعل لها
(66 — ب) خزانة بالمقصورة الشرقية من الجامع / الأعظم ، وجعل لها قومة يقومون بها وقت الانتفاع بها وقتا محدودا ، وأوقف عليها وقفا مؤبدا كافيا . فعم نفعها وعظم ثوابها (5) .

---

1) في الأصل : كلمة غير واضحة .
2) في الأصل : كلمة غير واضحة .
3) انظر خليفة 2 : 1682 .
4) نفس المصدر 2 : 1737 .
5) أنظر برنامج ، خ .

وحديث مسلم السابق الذكر رواه من طريق أبي هريرة وفي بعض فصوله من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ... الى آخره » يتقرر هنا أحسن تقرير .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – « قال الله عزّ وجل أنا الله قدرت الخير والشر فطوبى لمن جعلت له مفاتيح الخير على يده وويل لمن جعلت له مفاتيح الشرّ على يده (1) رواه الطبراني .

شعـــر حســـن .

من نهض الى المعـــالــي ظهـــر بالمكـان العـالي
سابق الى الخيرات أهل العلا فانماالناس أحاديث على كل حال
(2)

ومن مآثره : نصره الله – بنساء ثلاثـة مكـاتب لقراءة القرآن / واحد قبلي الجامع الاعظم واثنان بباب المنارة (3) . (67 – أ)

وحديث مسلم – رضي الله عنه – السابق المذكور في المآثر الأولى من طريق أبي هريرة – رضي الله عنه – وقال في آخره حاكيا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله – عزّ وجلّ – يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ... الى آخر الحديث » يتقرر معناه هنا . وناهيك بمن يكون سببا لاجتماعهم لهذا المطلب الشريف يحصل له الفضل العظيم والثواب الجسيم .

1) لم يذكر هذا الحديث في ونسنك .
2) الوزن مضطرب
3) باب من أبواب تونس ، لا زال موجودا .

وقد روى أبو داود في سننه من طريق أبي موسى الاشعري
— رضي الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
« من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير
(67 — ب) القالي والجافي عنه واكرام ذي السلطان / المقسط » فبناء هذه
المكاتب ينتظم في فعل ما أخبر به — صلى الله عليه وسلم — في
هذا الحديث الكريم » من أكرم حامل القرآن مثل من أحب
أحسن السيرة ومن أبغضها أهانها » (1) .

ومن مآثره — نصره الله — بناء ميضاة للوضوء والطهارة في غاية الاتقان ، والفخامة بدرب ابن عبد السلام (2) ، جوفي الجامع الاعظم بتونس المحروسة . وأوقف عليها وقفا مؤبداً كافيا لمؤنتها ومن يقوم بها . فكان فيها منفعة عظيمة . وقد روى مسلم — رضي الله عنه — عن عياض بن أياس — رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول « أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسطا موقن . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ربي قربى ومسلم عفيف متعفف » (3) .

(68 — أ) شعـــر / [الخفيف]

أنت ألهمت من أصاب الصوابا   أنت وقفت من يدا خراب ا(!)
أنت فتحت في قلوب المربـــين   لهم من بصائر أبوابـــا
أنت عرفتهم كنوز المعـاني   فمضوا يبحثون عنها طلابـا
أنت حببت ما تحب إليهـم   ثم أعطيتهم عليـه الثوابـا

ومن ماثره رحمه الله تعالى صدقته الجارية في كلّ عام على أهل جزيرة الاندلس اعانة لهم على ماهم بصدده من جهاد علو الدين . واتبع في ذلك سبيل اباته الكرام .

---

1) الحديثان السابقان لم يذكرا في ونسنك .
2) المدرسة الخلدونية الآن بنهج سوق العطارين بتونس .
3) لم يذكر هذا الحديث في ونسنك .

وفي مسائل الشهاب من طريق عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (1) عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « خير الناس انفعهم للناس » وقد روى الدار قطني في المساجد وابن أبي الدنيا من طريق ابن عباس – رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله ، والله يحب اعانة اللهفان » . (68 – ب) قال الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا على / البِرّ وَالتَّقْوَى » (2) وروى البخاري ومسلم من طريق زيد بن خالد الجهني – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا » (3) .

شعـــر [الوافر]

سمو بالمعارف والمعـــالـــي   فليس المجد بالذمم البوالي
فان المجد بالبيض المواضي   وبالسمر المثقفـة العـوالي
اذا ما المرء لم ينهض بهـذا   فليس بناهض أبـد الليـالي
ومن أسلمته أسبـــاب سوء   فـرفعتـه تئـول الى سفـــال

ومن مآثره – رحمه – الله – تكملته بنـاء مدرسة سوق الفلقة التي شرع في بنائهـا السيد المولى أبو عبد الله المنتصر

---

1) في الأصل : عنهم .
2) المـائدة 2 .
3) حدثنا ابو معمر حدثنا عبد الورث حدثنا الحسين قال : حدثني أبو سلمة قال : حدثني عمر ابن سعيد قال حدثني زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا . ابن حجر 6 : 49 .

ـ رحمه الله ـ المتقدم ذكره فأكملها على أكمل بناء واتقنه ، وأوقف عليها وقفا مؤبدا كافيا لها ولمن بها من الطلبة والقومة .
(69 ـ أ) فعمرت عمارة قوية ، وحصل ثوابها / في ميزان حسناته .
والاحاديث السابقة في بناء المدرسة الكائنة بزبقة الشيخ الولي العابد سيدي محرز ابن خلف يتقرّر معناها هنا .

وفي فعله هذا ـ نصره الله ـ صلة لذوي الارحام فان في ذلك أحياء لذكرهم وتجديدا للرحمة عليهم ، وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن طريق أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه أو من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (1) .

ومن ماثره ـ نصره الله ـ عمل سبيلا (2) بزاوية سيجوم ينتفع به المسافرون الواردون عليها يأمنون على دوابهم ورحالهم وانفسهم ممن يؤذيهم بسوء . فلما بناها وقواها (3)
(69 ـ ب) وغرس / لها جنات كثيرة فكثر خيرها واتسع رزقها وعمرت عمارة قوية . وسبب ذلك انه ـ نصره الله ـ قدم عليها من يخاف الله ، وهو الشيخ الصالح الحاج الناسك أبا اسحق ابراهيم الاموي السليماني وكان له وزير صَدق لابائه الكرام رحمة الله عليهم .

---

1) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو الاحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه الخ . ابن حجر 10 : 445 .
2) في الأصل : فصيل ولعلها غلط من الناسخ .
3) في الأصل : فلما فجابها وقواه .

وقد روى البخاري من طريق أبي سعيد الخدري وأبي هريرة — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما بعث الله من (1) نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحظه عليه والمعصوم من عصمه الله عزّ وجلّ » (2) وعن عائشة رضي الله عنها — قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد الله به / غير ذلك (70 — أ) جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه » رواه أبو داود باسناد جيد على شرط مسلم. ومن ماثره — نصره الله — اكرامه لاهل البيت النبوى القاطنين بحضرته والوافدين عليها من جميع الامصار . يكسوهم ويحسن اليهم . ويعولهم ويرتبهم حتى ان كثيرا منهم يقيم بحضرته ويستوطنها لما يرى من الاحسان .

وقد روى مسلم رضي الله عنه عن بربر بن حيان قال : « طلعت أنا والحصين بن سفوه وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم — رضي الله عنه — فلما جلسنا اليه قال له حصين : « لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا أرأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (3) وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ؟ لقد / رأيت يا زيد (70 — ب) خيرا كثيرا أرأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ حدثنا يا زيد بما سمعت من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « يا ابن أخي ! والله كبرت سني وقدم عهدي ونسيت

1) في الأصل : كلمة غير واضحة .

2) سنده هو أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الخ السيوطي : 7 : 158 . اختص النسائي بهذا الحديث دون غيره .

3) كلمة ساقطة من الأصل .

بعض الذي كنت أرعى من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما حدثتكم فاقبلوه وما لا أحدثكم فلا تكلفوني » ثم قال : « قام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فينا خطيبا بمكان يدعى حصائن بين (1) مكة والمدينة ثم قال : أما بعد أيها الناس ، انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم أثرين أولها كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ... » فحث على كتاب الله
(71 — أ) ورغب فيه — ثم قال : « وأهل بيتي » فقال له حصين / : « ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه ومن أهل بيته ؟ وليكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده » قال : « ومن هم » قال : « ال علي ، وال عقيل ، وال جعفر ، وال العباس كل هؤلاء حرم الصدقة ! قال : « نعم » ، وروى البخاري من طريق ابن عمر — رضي الله عنهما — عن أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — موقوف عليه انه قال : « ارقبوا محمد — صلى الله عليه وسلم في أهل بيته » ومعنى « راقبوه » « راعوه » واحرسوه واكرموه .

ومن مآثره — نصره الله — صلة ذوي رحمه فيحسن اليهم ويعولهم ويكسوهم ويجري النفقة الكافية لهم . وقد روى البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة — رضي الله عنه —
(71 — ب) قال : قال رسول / الله — صلى الله عليه وسلم — : « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ قامت الرحم قالت : « هذا مقام العائذ بك من القطيعة » قال : « نعم » أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟ » قالت : « بلى قال : فكذلك : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اقرؤ ان شئتم « فهل

1) كلمة ساقطة من الأصل .

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا (1) فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ » وعن عائشة رضي الله عنها — عن النبيء — صلى الله عليه وسلم — قال : « الرحم متعلقة بالعرش تقول « من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله »

ومن مآثره — رضي الله عنه ونصره — صلته لأصدقاء والده . وقد روى مسلم بن الحجاج عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنه — ان رجلا / من الاعراب (72 — أ) لقيه بطريق مكة . فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار : «فقلنا له — أصلحك الله — انهم اعراب وهم راضون باليسير ! » فقال عبد الله بن عمر : « ان أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب واني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : «ان أبرّ البر صلة الولد أهل ود أبيه . وفي روايه : « اني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « ان من أبرّ البرّ صلة الرّجل لاهل ود أبيه بعد أن يولي » وان أباه كان صديقا لعمر — رضي الله عنه — . وروى أبو داود — رضي الله عنه — عن سعيد بن ربيعة بن الساعد — رضي الله عنه — قال : « بينا نحن جلوس عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذ جاءه رجل من بني سلمه فقال : « يارسول الله / هل بقي من برّ (72 — ب) أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما » قال : « نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانقاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا تصل الا بهما واكرام صديقهما » (2)

ومن مآثره — نصره الله — اكرام الضيف الوارد على

---

1) محمد ، 22 ، 23 .

2) لم يذكر هذا الحديث في اونسنك .

حضرته . قال الله تعالى « هلْ أتَاكَ حديثُ ضَيفِ إبْرَاهيمَ المكْرَمين إذْ دَخلُوا عَليْه فقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُون فرَاغَ إلى أهْله فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فقرّبَه إليْهِمْ قَالَ ألاَ تَأْكُلُونَ ... (1) .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن النبيء — صلى الله عليه وسلم — قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخرة فاليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » رواه البخاري ومسلم (2) .

وعن أبي شريح خويلد بن عمر — رضي الله عنه — قال : سمعت رسول الله / — صلى الله عليه وسلم — يقول : من كان (73 — أ) يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قيل : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : « يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه (3) رواه البخاري ومسلم . وفي رواية « لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه يؤثمه قالوا « يا رسول الله وكيف يؤثمه » قال « يقيم عنده ولا شيء عنده يقربه له » .

ومن مآثره — نصره الله — ملازمته للسفر في كلّ عام لردع المفسدين في الارض ، وكفهم عن اذاية العباد ، وقد

---

1) الذاريات ، 24—27 .

2) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو الاحرص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . ابن حجر 10 : 445 .

3) حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني سعيد المقبري عن أبي شريح العدوي قال : سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، وقيل وما جائزته يا رسول الله ؟ قال يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . ابن حجر 10 : 445 .

نصره الله عليهم في مواطن كثيرة بنيته الصادقة مع الله وسريرته الصالحة وتوكله على الله سبحانه . [مجزوء الكامل]

أقلل ركـابـك في الفـلا   ودع الغـوانـي للقصـور
فالقـاطنـون بـأرضهـم   أشبـاه سكـان القبـور / (73 – ب)

وقـول الآخـر :   [الوافر]

اذا كان الفتى حرما صبورا   جسورا في مسائله جليد (!)
تذل لـه كمـاة الارض قهرا   وتلقـاه المسـرة والجلود
فما بالعجز تكتسب المعالـي   وما بالجبن تفترس الاسـود

[خـاتمـه]

ويختم هذا الكتاب بخاتمة تشتمل على فصلين :

الفصل الأول : في الحرابة وذكر بعض أحكامها .

الفصل الثاني : في دخول العرب الى افريقية وما السبب الذى دخلوا من أجلـه .

الفصـل الاول

في ذكـر الحرابة (1)

قال الله سبحانه : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا

---

1) الحرابة عند الفقهاء يعني المحارب وهو الذي شهر السلاح وقطع الطريق وقصد سلب الناس . راجع تفاصيل الحرابة في ابن جزي ، 347 .

أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (1) .

(74 – أ) قال مالك والشافعي والثوري (2) وأصحاب / الرأي : الاية نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الارض بالفساد » (3) ولا خلاف بين أهل العلم ان حكم هذه الاية مقرر في المحاربين من أهل الاسلام ومعنى قوله سبحانه « يحاربون الله » أي « يحاربون أولياء الله » كنى بذاته العلية العزيزة عن أولياء الله اكبارا لهم لدلالهم ، كما عبر – سبحانه بنفسه عن الفقراء الضعفاء في قوله « من ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا » (4) حثا على الاستعطاف عليهم .

ومثله ما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه (5) مسلم « استطعمتك فلم تطعمني » قال مالك – رحمه الله – : « المحارب عندنا من على الناس السلاح في مصر أو قرية فكابرهم على أنفسهم وأموالهم دون ثائرة ولا دخل ولا عداوة . وقد ذكر
(74 – ب) الطبري عن أنس بن ملك / – رضي الله عنه – قال : سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : جبريل – عليه السلام – في حكم المحارب فقال : من أخاف السبيل وأخذ أموال الناس فاقطع يده للاخذ ورجله للاخافة ومن قتل فاقتله ومن جمع ذلك فاصلبه » .

---

1) المائدة ، 33 .
2) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، 716/97 778/161 . محدث ، فقيه . له من الكتب : الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الفرائض . ابن حجر : تهذيب التهذيب 4 : 111–115 عدد 199 .
3) نقل عن القرطبي 6 : 149 .
4) البقرة ، 245 .
5) في الأصل : خرجه .

قال ابن عطية : وبقي النفي للمخيف فقط واذا خرج المحاربون فاقتتلوا مع القافلة فقتل بعض المحاربين ولم يقتل الآخر مثل الجميع . وقال الشافعي « لا يقتل الا من قتل » وهو ضعيف .

واذا خاف المحاربون السبيل ، وقطعوا الطريق وجب على المسلمين التعاون على قتالهم من غير ان يدعوهم الامام — ان كان — . ويجب على جميع المسلمين التعاون عليهم ، وكفهم عن اذاية المسلسين ، فان انهزموا لم يتبع منهم مدبر الا أن يكونوا قتلوا أو أخذوا مالا ، فان كان ذلك اتبع ليؤخذ بما جنى
(75 — أ) وقوام عليه / ما وجب بحرابته لا يدفع من خرج منهم الا أن يكون قد قتل ، فان أخذوا ووجد في أيديهم مال لاحد بعينه رد اليه أو الى ورثته ، وان لم يوجد له صاحب جعل في بيت المال ، وما اتلفوه من مال لاحد غرموه ، واجمع أهل العلم على أن السلطان ولي من حارب ، فان قتل محارب أخا لاعدوا أو أذاه في حال المحاربة فليس الى طالب الدم من أمر المحارب شيء ، ولا يجوز له عفوه في الدم ، والقائم بذلك هو الامام . جعلوا ذلك بمنزلة حد من حدود الله (1) ، وقد مر بنا الكلام في بعض ذكر احكام الحرابة لان هذه المفسدة ببلاد افريقية فاشيه منتشرة من هؤلاء الاعراب الذين ليست لهم في الاسلام الا مجرد القول والاسم والله حسيب من كان مسبب في
(75 — ب) دخولهم افريقية / .

ولنذكر سبب ذلك تكميلا للفائدة لان النفوس تتشوق للمعرفة ونبينه مختصرا من كلام ابن بسام (2) وغيره على اختلاف فيه بين المؤرخين .

---

1) انظر القرطبي 6 : 147—158 ، ابن جزي 347 ، 348 .
2) علي بن بسام الشنتريني الأندلسي ، أبو الحسن ، أديب ، من الكتاب الوزراء نسبته إلى سنترين توفي سنة 542/1147 ، الزركلي 5 : 72 .

[الـفـصـــل الـثـــانــي

دخول الاعراب افريقية]

وذلك لما تغلب بنو عبيد الله القائمون بافريقية على مصر فخلص لهم صميمها ، وتمّ لهم ملكها ونعيمها . واراد المعز لدين الله ابن اسماعيل الملقب بالمعز لدين الله ، اقتناء صهوتها ، واثبات قدميها على ذروتها سلم افريقية واعمالها الى يوسف بن زيرى الصنهاجي (1) وتداولتها بنوه بينهم الى أن انتهت منهم الى المعز بن باديس مترف العشيرة ، وآخر ملوكها المشهورة ، فكان المعز لا يزال ينحى على بني عبيد ويلعنهم خفية ، ويؤذي أشياعهم ، ثمّ ال أمره الى أن صرح بلعنهم على
(76 – أ) المنابر ، وقتل أشياعهم / المرة بعد المرة . وكان قبل هذا ربما كاتب الجرجاني (2) وزير المستنصر بالله العبيدى مستميلا له ، ومعرضا بالتعرف معه على القوم . وكتب الى الجرجاني قطعة بخط يده يتمثل فيها بهذا البيت .

وأنت صاحب قوم لا خلاق لهم
لولاك ماكنت أدرى أنهم خلقوا

يشير إلى بني عبيد ويزعم انه انما ابقى عليهم بعض الابقاء من أجل حبه له فلما وقف الجرجاني عليها قال : « لا يعجبني من هذا الامر شيء » صبيّ مغربي بربرى يحبّ أن يخدع شيخا بغداديا عربيا . واتهم بأنّه انّما فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم أن عثر على تلك الرموز ما يطعن ذلك عليه وشدد سهام مكر وه إليه (3) .

ولما خلع المعز بن باديس طاعة المنتصر بالله العبيدى ،
(76 – ب) وارسل / أمير المؤمنين ببغداد فكتب اليه بهدية ، وجاءته

1) انظر ابن عذاري 1 : 228 .
2) في الأصل : الجرجري والاصلاح من ابن خلدون راجعه 5 : 29 .
3) هكذا في الأصل .

الخلعة وضاق ذرع المستنصر بالمعز . فشاور في ذلك وزيره الجرجاني فأشار عليه بتجويز العرب اليه ، فقبل مشورته . فبعث اليهم وأمرائهم وكبارهم فأكرمهم وأحسن اليهم ، وفرق فيهم الاموال ، وأشار اليهم بأمره فأطاعوه في ذلك ، وبعث الى عشائرهم وقبائلهم فأقبلوا الى مصر — وكانوا نازلين بالصعيد — وهم بطون من بني عامر وصعصعة وزغبة والاشجع ورياح وغيرهم . فلما اجتمع منهم بمصر ما اجتمع نظر في تجويزهم ووجه معهم قائدا من قواده وقال اليهم : « ان جاوزتم مدينة برقة فأغيروا ، ولكم ما غلبتم عليه » ففعلوا ذلك . وكان كبير أمراء العرب بعد وصولهم داخل افريقية (1) مونس الرياحي (2) . فلما وصلوا برقة أغاروا / وامتدت ايديهم بالاموال والأواني (3) والعروض (77 — أ) والاثاث ونعا سعة . فكتبوا بما صار لهم من الاموال الى من خلفوا ورائهم من عشائرهم فاقبل منهم الى مصر خلق كثير يطلبون الجواز . فقيل لهم : « ما تجوزوا حتى تدفعوا لنا مالا » فاطاعوا بذلك فأخذ منهم من المال أكثر مما (أنفق) (4) على الاولين (5) ، وجوزهم الى صحابهم وعاثوا في افريقية وأفسدوا .

وخرج اليهم المعز بن باديس بجميع جيشه ، وفيهم من العبيد السودان الرجالات عشرون ألفا غلام ، فالتقى مع العرب بحيدران قرب القيروان ، فانهزم جشيه ، واتبعهم العرب ، وانحاز المعز الى العبيد السودان ، وساروا خلفه وحوله ، فاذا قربتهم العرب ووافيهم وزرقوهم خيلهم بالمزاريق وتحمل

1) في الأصل : الداخل لافريقية .
2) في ابن خلدون اسمه : مؤنس بن يحيى الصنوبري . ابن خلدون 6 : 31 .
3) في الأصل : والسواني .
4) في الأصل : كلمة غير واضحة .
5) انظر ابن خلدون 6 : 31 .

المعز ، ورجع اليهم وفي جملتهم يقطعون / مسافة فلم يزالوا (77 – ب)
يفعلون ذلك الى أن وصلوا الى القيروان ، وصالح المعز العرب
على أن يترك لهم القيروان ، ويخرج منهـا الى المهديـة – وواليها
ابنه تميم – وقال للعرب « اخرج حريمي وأثقالي وبعد ذلك
أخرج بنفسي ومالي » فلما خرج حريمه خرج في جملتهن
كأنه امرأة فخيل لهم . فلما وصل الى المهدية انخلع لابنه
تميم من الامـارة وسكن بعض قصور المهديـة الى أن وافاه حمامه .

ولما انهزم المعزّ أمـام العرب جالت الحرب في افريقية
واستولت عليها كلهـا ، وقسموا بواديهـا على قبائلهم ، وصارت
الحواضر محصورة لا يخرج منهـا أو يدخل اليهـا الا بنفي .
ولم يبق الا شرهم ممتدّا وفسادهم على مرّ الزمان والدّهور (1) .

وفي هذا الزّمـان كفؤ الله شرهم ، وشتت شملهم وأخمد
(78 – أ) فتنتهم بوجود / مولانا أمير المؤمنين ونيته الصالحة . فلا زال
مؤيدا من الله بعز النصر ، وادراك الامل ، ودوام العافية
وتمام النعمة وحسن المزيد .

شعـر حســن [البسيط]

اذا حـويـت فعـــال الخيـــر أجمعهـــــا
فضـلا وعـاملت كل الناس بالحســـــن

لم يعـدم الخير من ذي العـرش مصـــدره
والشكـر من خلقـــه في السـرّ والعلـــن

وهذا آخر التقييد المبارك ، والحمد لله رب العالمين وسلام على
عباده الذين اصطفى .

تمّ نسخه يوم الثلاثاء (2) الثالث والعشرين من ذي القعدة
تسع وعشرين وثلاثمائة وألف [1 نوفمبر 1911] ..

1) راجع أخبارهم في ابن خلدون 6 : 27 وما بعدها ، 241، 205 : Idris 1
2) في التقويم يوم الاربعاء .

ملــوك الــدولــة الحفصيـــة

1) أبو محمــد عبـدالواحد 603 ـ 618 / 21 ـ 1207

2) أبو زكريا يحي الأول 625 ـ 647 / 28 ـ 1249

3) أبو عبـد الله محمـد المستنصر 647 ـ 675 / 49 ـ 1277

4) أبو زكريا يحي الثانـي الواثق 675 ـ 678 / 77 ـ 1279

5) أبو اسحاق إبـراهيم الأول 678 ـ 681 / 79 ـ 1283

6) الدعـي أحمـد بن مرزوق بن أبي عمـاره 681 ـ 683 / 83 ـ 1284

7) أبـو حفص 683 ـ 694 / 84 ـ 1295

8) أبو عبـدالله محمـد أبو عصيـدة 694 ـ 709 / 95 ـ 1309

9) أبويحيى أبو بـكر الشهيـد 10 ربيع الآخر 709 / 1309 ـ 27 منه

10) أبو البقاء خالـد الأول 709 ـ 74 / 1309 ـ 1311

11) أبو يحي زكريا الأول ابن اللحياني 711 ـ 717 / 11 ـ 1317

12) أبو عبدالله محمـد أبو خـربة 717 ـ 718 / 17 ـ 1318

13) أبو بـكر 718 ـ 747 / 18 ـ 1346

14) أبو حفص عمـر 747 / 1346

15) أبـو العبـاس أحمـد 747 / 1346

أبـو حفص عمـر ثاني 748 / 1347

أبو الحسن المريني 748 / 1347 750 / 1350

16) أبو العباس أحمد الفضل 750 / 1350 751 / 1350

17) أبو اسحاق إبراهيم الثاني 750 — 770 / 50 — 1369
18) أبو البقـاء خالـد الثـاني 770 — 772 / 69 — 1370
19) أبو العباس أحمـد 772 — 796 / 1370 — 1394
20) أبو فارس عبدالعزيز 796 — 837 / 1394 — 1434
21) أبـو عبـدالله محمـد السادس 837 — 839 / 34 — 1435 المنتصـر
22) أبـو عمـرو عثمان 839 — 894 / 1435 — 1488
23) أبـو زكريا يحي الثالث 894 — 895 / 88 — 1489
24) عبـد المؤمن 895 / 1489
25) أبو يحي زكريا الثـاني 895 — 899 / 89 — 1494
26) أبو عبد الله محمد الخامس 899 — 932 / 1494 — 1526

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأبار (محمد) . اعتاب الكتاب ؛ تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، دمشق 1961/1380 ؛ مجلد واحد .

ابن الأبار (محمد) . الحلبة السيراء ؛ تحقيق الدكتور حسين مؤنس (1) القاهرة ، 1963 ؛ مجلدان .

الابي (محمد) . اكمال الأكمال . (1) القاهرة 1328 ، 7 مجلدات .

ابن الأثير (عز الدين) . أسد الغابة في معرفة الصحابة . طهران . 1342 ، 5 مجلدات .

برنامج المكتبة العبدلية والمكتبة الصادقية بجامع الزيتونة . تونس، 1911/1329 ، 4 مجلدات .

ابن بشكوال (خلف) . الصلة في تاريخ أيمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم . مجريط ، 1883 ، مجلدان .

ابن بطوطة (محمد) . رحلة ابن بطوطة . بيروت ، بدون تاريخ ، مجلد واحد

البغدادي (الخطيب) . تاريخ بغداد . بيروت بدون تاريخ، 14 مجلدا .

البكري (عبد الله) . المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب . جزء من كتاب المسالك والممالك .

تحقيق دوسلان . الجزائر ، 1857 ، مجلد واحد .

الجزائر ، 1911 ، مجلد واحد .

البلاذري (احمد) . فتوح البلدان . تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر انيس الطباع . بيروت ، 1957/1377 ، مجلد واحد .

البلوى (خالد) . تاج المفرق في تحلية علماء المشرق . مخط . عدد 14792 المكتبة الوطنية بتونس .

التجاني (عبد الله) . رحلة التجاني . تونس ، 1958/1378 ، مجلد واحد .

الترجمان (عبد الله) . تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب ، مخط عدد 18456 ، المكتبة الوطنية بتونس .

التنبكتي (احمد) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (1) القاهرة ، 1329 ، مجلد واحد (2) القاهرة ، 1351 ، مجلد واحد .

ابن الجزرى (محمد) . غاية النهاية في طبقات القراء باعتناء برجشترايز ، مصر ، 1933—1935 ، مجلدات .

ابن جزى (محمد) . القوانين الفقهية . تونس ، 1926/1344 ، مجلد واحد .

ابن حجر (احمد) . تهذيب التهذيب حيدر اباد ، 1325 ، 12 مجلدا .

الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة محمد سيد جاد الحق (2) القاهرة 1966/1385 ، 5 مجلدات .

فتح البارى بشرح صحيح البخاري القاهرة ، 1380/ ، 13 مجلدا .

ابن حوقل (ابو القاسم) . كتاب صورة الأرض . بيروت ، بلون تاريخ ، مجلد واحد .

ابن خلدون (عبد الرحمن) . تاريخ العبر . بيروت ، 1967—1968 ، 6 مجلدات المقدمة . بيروت 1967 ، مجلد واحد .

ابن خلكان (احمد بن محمد) . وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان . بيروت 1970 ، 8 مجلدات .

خليفة (حاجي) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، اسطنبول ، مجلدان .

خوجة (حسين) ذيل بشائر اهل الايمان بفتوحات آل عثمان . تحقيق وتعليق الدكتور الطاهر المعموري ، تونس 1975 ، مجلد واحد .

ابن الخوجة (محمد) . تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد ، تونس 1939/1358 ، مجلد واحد .

ابو داود (سليمان) . سنن أبي داود . القاهرة ، بدون تاريخ ، مجلدان .

ابن ابي دينار (محمد) . كتاب المؤنس في اخبار افريقية وتونس . (1) تونس 1286 ؛ مجلد واحد .

الذهبي (شمس الدين). تذكرة الحفاظ. حيدر آباد، بدون تاريخ، 3 مجلدات .

الراشدي (عمر بن علي الجزائري) ابتسام العروس ووشي الطروس (1) تونس 1303 ، مجلد واحد .

الزركشي (محمد بن ابراهيم) . تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية . (1) تونس 1289 ، مجلد واحد .

(2) تحقيق محمد ماضور ، تونس ، 1966 . مجلد واحد .

الزركلي (خير الدين) الاعلام . (2) دمشق ، بدون تاريخ ، 10 مجلدات .

السبكي (تاج الدين) . طبقات الشافعية الكبرى (1) القاهرة ، بدون تاريخ ، 6 اجزاء في 3 مجلدات .

السراج (محمد) . الحلل السندسية في الاخبار التونسية . تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، (2) تونس ، 1970 ، ج . 1 في اربع مجلدات وقسم من ج . 2 في مجلد واحد .

السيوطي (عبد الرحمان) . شرح السيوطي على سنن النسائي القاهرة ، بدون تاريخ ، 8 اجزاء في اربع مجلدات .

ابن الشماع (احمد) . الادلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق عثمان الكعاك تونس ، 1936/1355 مجلد واحد .

ابن الشماع (احمد) . في عدد السلف في ايام الملوك الحفصيين . مخطط . مج 1011 دار الكتب الوطنية بتونس .

طاش كبرى زادة (احمد) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة . القاهرة ، 1968 ، 3 مجلدات .

الطبرى (محمد بن جرير) التاريخ . بريل ، 1879–1881 ، 16 مجلدا .

الظبّي (احمد) . بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس . مجريط ، 1885 ، مجلد واحد .

ابن عاشور (الطاهر) . اليس الصبح بقريب . تونس ، مجلد واحد .

العبدرى (محمد بن محمد) . رحلة العبدرى ؛ تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968/1388 ، مجلد واحد .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمان) . كتاب فتوح مصر واخبارها . ليون ، 1920 ، مجلد واحد .

أبن عذارى (المراكشي) . كتاب البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة لفي بروفنسال و ح. س. كولان ؛ 3 مجلدات .
تحقيق ومراجعة الدكتور احسان عباس ، مجلد واحد .

ابو العرب (محمد بن احمد) . طبقات علماء افريقية وتونس ، تحقيق الدكتور علي الشابي ونعيم حسن اليافي ، تونس ، 1968 ، مجلد واحد .

ابن العربي (محمد) . عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى . دمشق ، بدون تاريخ 13 جزءا في 7 مجلدات .

ابن عرفة (محمد) . التفسير . مخط . عدد 10110 ، المكتبة الوطنية بتونس .

ابن العماد (عبد الحي) . شذرات الذهب في اخبار من ذهب . بيروت ، بدون تاريخ ، 8 اجزاء في اربعة مجلدات .

الغبريني (احمد بن احمد) . عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية . الجزائر ، 1910/1328 ، مجلد واحد .

ابن فرحون (ابراهيم) . الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . (1) القاهرة ، 9 ، 1351 ، مجلد واحد .

ابو الفضل (احمد بن يحي) . وصف افريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الأبصار . نشر حسن حسني عبد الوهاب تونس ، بدون تاريخ ، مجلد واحد .

القرطبي (محمد) الجامع لاحكام القرآن . القاهرة ، 1967/1387 ، 20 جزءا .

القرطاجني (حازم) . قصائد ومقطعات صنعة ابي الحسن حازم القرطاجني . تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة . تونس ، 1972 ، مجلد واحد
القرطاجني (حازم) . منهج البلغاء وسراج الادباء ؛ تحقيق وتقديم الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة . تونس 1968 ؛ مجلد واحد .
القلقشندى (احمد بن علي) . صبح الأعشى في صناعة الانشاء . القاهرة 1963/1383 ، 14 مجلدا .
كحالة (عمر) . معجم المؤلفين. دمشق 1957/1376 ، 8 مجلدات في 15 جزءا .
المالكي (عبد الله) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم ، نشر حسين مؤنس . القاهرة ، 1951 ، الجزء الأول في مجلد واحد .
محمود (عبد الحليم) ، المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها ابو الحسن الشاذلي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، مجلد واحد .
مخلوف (محمد) . شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . القاهرة ، 1350 ، مجلدان .
المعموري (الطاهر) . جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي ، تونس 1980 ، مجلد واحد .
المعموري (الطاهر) فهرس المجاميع تونس 1979 ، مجلد واحد .
النووي (يحيى بن شرف) . صحيح مسلم شرح النووي . القاهرة ، بدون تاريخ ، 18 جزءا في 9 مجلدات .
النيفر (محمد) . عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب ، تونس ، 1351 ، مجلدان .
الهواري (محمد) مناقب الشيخ محمد الزلاج . مخط . عدد 18420 ، دار الكتب الوطنية بتونس .
الورتلاني (الحسني) . نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار ؛ الجزائر ، 1908/1326 ، مجلد واحد .
وينسنك (أ . ى .) . المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى ، ليدن 1943/1969 7 مجلدات .

المـراجـع الاجنبيـة

Abdel Wahab (H.). Coup d'œil général sur les apports ethniques étrangers en tunisie - Tunis 1971 ; 1 vol.

Ben Cheneb : Art. Ibn Abbar E.I.

Brunschvig (R.). La Berberie Orientale sous les Hafsides des origines à la fin du XV ème s. Paris, 1940-47 2 vol. in 4°

Brunschvig (R.). Ibn As-Samma historien Hafside. A.I.E. O.A. 1934 35. pp. 193 - 212.

Brunschvig (R.). Quelques remarques historiques sur les medersas en Tunisie. R.T. n° 6, 1931, p. 261-285.

Brockelman (R.). Ces chichter der Arabischen litteratur. 2 edi. Leiden 1937-1944 ; 2 vol. + 3 vol. de supplement. in. 4°

الفهارس

1) فهرس الآيات القرآنية

2) فهـرس الأحاديث النبـوية

— أ —

— ب —

- بايعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم . 7/44 .
- بعث سرية في سبيل الله . فلما رجعوا ذكروا شدّة برد أصابهم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لكن إفريقية أشد بردا وأعظم أجرا . 8/34 .
- بينما نحن جلوس عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ... 18/131 .
- بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فخرج فإذا كلب يلهث يأكل التراب من العطش ... 14/123 .

— خ —

- من خاف السبيل وأخذ أموال الناس ... 18/134 .
- الخلق كلهم عيال الله فقراء إليه فاحبّ الخلق إليه أنفعهم لعياله وهو الذي يعولهم 9/124 .
- خير الناس أنفعهم للناس . 3/127 .

— ر —

- الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله . 4/131 .
- الشر عشرة أجزاء ، فتسعة بالمشرق ، وواحد بالمغرب . والخير عشرة أجزاء فتسعة بالمغرب وواحد بالمشرق . 12/33 .

— ط —

- طلعت أنا والحصين بن سفوه وعمر بن مسلم ... 15/129 .

— ع —

- عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة . 6/48 .

— على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة . 9/43 .

— عليك السمع والطاعة في يسرك وعسرك ... 4/44 .

— ق —

— قال الله عز وجلّ أنا الله قدرت الخير والشرّ فطوبى لمن جعلت له مفاتيح الخير على يده وويل لمن جعلت له مفاتيح الشرّ على يده . 6/125 .

— ك —

— كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك بني بعث اخر . ولأنّهلا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فتكثرو قالوا : فما تأمرنا ! قال : وفّوا بيعة الأول ... 13/45 .

— كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إعانة اللهفان . 5/127 .

— ل —

— لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بالحجاز تضيء منها الآفاق 8/65 .

— لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه يؤثمه ... 14/132 .

— لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا افضل من عمل العابد في أهله مائة عام وخمسين عاما . 2/48 .

— ليرابطن على ساحل افريقية رجال ... 15/34 .

— م —

— ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشرّ وتحضه عليه والمعصوم وبطانة تأمره بالشرّ وتحضه والمعصوم من عصمه الله عزّ وجلّ .3/129 .

— ما اجتمع قوم في قوم في بيت من بيوت الله — عزّ وجلّ — يتلون كتاب الله ، يتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ... 17/125 .

— من اجلال الله أكرم ذي الشيبة المسلم وحامل القران ... 3/126 .

– من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله . ومن يطع الأمير فقد أطاعني . ومن عصى الأمير فقد عصاني . 2/45 .

– من اكرم حامل القران مثل من أحبّ أحسن السيرة ومن أبغضها أهانها . 6/126 .

– من أهان السّلطان فقد أهان الله . 10/45 .

– من بايع إماما فأعطاه حقيقة يمينه ... 8/44 .

– من بنى مسجدا لله صغيرا او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنّة . 9/122 .

– من جهّز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد عزا . 9/127 .

– من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجّة له ... 12/43 .

– من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه أو من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . 10/128 .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ... 6/132، 10 .

– من كره من اميره شيئا فليصبر . فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية . 6/45 .

– من نفس على مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب الآخرة ... 15/122 .

– من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب عنهم بدون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون ... 5/51 .

– و –

– و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه 3/125 .

– وليس فوق السلطان العادل منزلة الا النبي أو رسول أو ملك مقرب . 19/47 .

– ولينا نحن بمصر بعشرة دنانير ... 10/35 .

– ي –

– يحشر من افريقية سبعون ألف شهيد وجوههم على صورة القمر ليلة البدر . 3/35 .

– ينقطع الجهاد في اخر الزمان من البلاد ويعود إلى افريقية . 7/35 .

3) فهرس القبائل

4) فهرس الأماكن

— ت —

— ج —

5) فهرس الإعلام

– أ –

— غ —

— ف —

فهرس الموضوعات

انتهى طبع هذا الكتاب
بمطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم
20 نهج المنجى سليم ـ تونس
تحت عدد 83/566 ـ الايداع القانونى 1/84





رغم ما يقال فى أمثال كتاب الادلة البينة من انه تاريخ ملوك يؤرخ لحياتهم وحروبهم وانتصاراتهم ـ فان القارىء الحصيف المتمكن يستطيع ان يستخلص منه مدى ما بلغته الحضارة الاسلامية فى هذه الربوع ، وقوة الدول التى سادت وعظمة جيوشها التى لولاها لبلغ الصليبيون هدفهم ، ولما اقتصر الوجود المسيحى على شمال البحر الابيض المتوسط .

ثم ان الطابع الاسلامى لهذه الحضارة يكذب ويفند ادعاءات من اصطلحوا على تسمية هذه البلاد ببلاد البربر فى مختلف عصور تاريخها .

الدار العربية للكتاب : المقر الرئيسي : عمارة « وفاء » شارع غومة المحمودي ـ طرابلس ـ ص ب : 3185 الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الهاتف 47.287 الفرع الرئيسي : المنار 2 ـ نهج 7101 عدد 4 ـ تونس ـ الجمهورية التونسية ـ الهاتف : 236.025 ـ 236.600

الثمن : 1،450 د. ل ـ 3،000 د. ت